اَلْمَزْمُورُ الْحَادِي وَالتِّسْعُونَ

1 اَلسَّاكِنُ فِي سِتْرِ الْعَلِيِّ فِي ظِلِّ الْقَدِيرِ يَبِيتُ. 2أَقُولُ لِلرَّبِّ: «مَلْجَإِي وَحِصْنِي. إِلهِي فَأَتَّكِلُ عَلَيْهِ». 3لأَنَّهُ يُنَجِّيكَ مِنْ فَخِّ الصَّيَّادِ، وَمِنَ الْوَبَإِ الْخَطِرِ. 4بِخَوَافِيهِ يُظَلِّلُكَ، وَتَحْتَ أَجْنِحَتِهِ تَحْتَمِي. تُرْسٌ وَمِجَنٌّ حَقُّهُ. 5لاَ تَخْشَى مِنْ خَوْفِ اللَّيْلِ، وَلاَ مِنْ سَهْمٍ يَطِيرُ فِي النَّهَارِ، 6وَلاَ مِنْ وَبَإٍ يَسْلُكُ فِي الدُّجَى، وَلاَ مِنْ هَلاَكٍ يُفْسِدُ فِي الظَّهِيرَةِ. 7يَسْقُطُ عَنْ جَانِبِكَ أَلْفٌ، وَرَبَوَاتٌ عَنْ يَمِينِكَ. إِلَيْكَ لاَ يَقْرُبُ. 8إِنَّمَا بِعَيْنَيْكَ تَنْظُرُ وَتَرَى مُجَازَاةَ الأَشْرَارِ.

9لأَنَّكَ قُلْتَ: «أَنْتَ يَا رَبُّ مَلْجَإِي»، جَعَلْتَ الْعَلِيَّ مَسْكَنَكَ، 10لاَ يُلاَقِيكَ شَرٌّ، وَلاَ تَدْنُو ضَرْبَةٌ مِنْ خَيْمَتِكَ. 11لأَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ يَحْفَظُوكَ فِي كُلِّ طُرُقِكَ. 12عَلَى الأَيْدِي يَحْمِلُونَكَ لِئَلاَّ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ. 13عَلَى الأَسَدِ وَالصِّلِّ تَطَأُ. الشِّبْلَ وَالثُّعْبَانَ تَدُوسُ. 14لأَنَّهُ تَعَلَّقَ بِي أُنَجِّيهِ. أُرَفِّعُهُ لأَنَّهُ عَرَفَ اسْمِي. 15يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ. مَعَهُ أَنَا فِي الضِّيقِ. أُنْقِذُهُ وَأُمَجِّدُهُ. 16مِنْ طُولِ الأَيَّامِ أُشْبِعُهُ، وَأُرِيهِ خَلاَصِي.

الساكن في ستر العلي

توجد نصوص كتابية يتهيَّب الواعظ أمامها لئلا يُنقص من جمالها وهو يحاول أن يشرحها. وقد وجدتُ نفسي أقف هذا الموقف أمام المزمور الحادي والتسعين، كما وقفته أمام نصوص كتابية أخرى كثيرة.

يتحدَّث هذا المزمور عن طمأنينة الإنسان التقي الذي يحفظه الله من الأخطار التي تهدِّده، روحياً وجسدياً ونفسياً وفكرياً واجتماعياً. وهي بالرغم من كثرتها وخطورتها لا تدمِّر المؤمن، وإن كانت أحياناً تزعجه، لأنها حتى لو اجتمعت معاً فهي لا شيء أمام عظمة القدرة السماوية، والمحبة الإلهية للمؤمن. فما أكثر المخاطر ولكن ما أعظم العناية، التي تجعل المؤمن يقول: «الساكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت».

يتعرَّض المؤمن لأخطار روحية تهدد علاقته بالله، وتحاول أن تدمِّر أخلاقياته. ويصف الرسول بطرس عدوَّنا الروحي إبليس بأنه كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه (1بط 5: 8) ولكن الرب يعطي المؤمن نصرةً على إبليس وجنوده، فيسمع كلمات الملاك المشجِّع: «لا بالقدرة ولا بالقوة، بل بروحي قال رب الجنود. مَن أنت أيها الجبل العظيم! أمام زربابل تصير سهلاً (بمعنى: تصير مستوياً)» (زك 4: 6، 7)، فيقول المؤمن: «ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا» (رو 8: 37)، ويردِّد قول المسيح: «رأيتُ الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء» (لو 10: 18). فمهما كانت قسوة الصعوبة الروحية التي تواجه المؤمن فإنها لا تفشله أبداً، بل تتحوَّل بنعمة الله إلى معونة ترفعه إلى أعلى، وتكون بركة له وللمحيطين به، كما حدث ليوسف الذي باعه إخوته في مصر، فقال لهم بعد أن وصل إلى القمة: «لا تتأسَّفوا.. لأنكم بعتموني إلى هنا، لأنه لاستبقاء حياة أرسلني الله قدامكم.. ليجعل لكم بقية في الأرض، وليستبقي لكم نجاة عظيمة. فالآن ليس أنتم أرسلتموني بل الله.. أنتم قصدتم لي شراً، أما الله فقصد به خيراً» (تك 45: 4-8 و50: 20).

ويتعرَّض المؤمن لأخطار جسدية، فيهاجمه الأعداء ليصيبوه أو يقتلوه، ولكنه يقول: «إن نزل عليَّ جيش لا يخاف قلبي. إن قامت عليَّ حرب ففي ذلك أنا مطمئن» (مز 27: 3).. ويهاجمه المرض، ولكنه يعرف أن الرب

هو شافيه (خر 15: 26). قد يشفيه باستعمال العقاقير كما حدث مع حزقيا (إش 38: 21)، أو بمعجزة كما حدث مع بارتيماوس وغيره (مر 10: 52)، وقد يعطيه نعمة كافية ليحتمل مرضه كما حدث مع الرسول بولس (2كو 12: 9). وسيكون المؤمنون في كمال الصحة بعد انتقالهم ليكونوا مع الرب حيث لا مرض ولا وجع (رؤ 21: 4). أما الأعداء فإنهم سيرتدّون على أعقابهم ويدفعون أجرة خطيتهم.

ويتعرَّض المؤمن لأخطار فكرية، وقد يصيبه الشك، أو الحيرة. وقد يخاف من المستقبل أو من الفشل، أو من الأعداء، فيصرخ: «يا ربُّ، ما أكثر مضايقيَّ! كثيرون قائمون عليَّ. كثيرون يقولون لنفسي: ليس له خلاصٌ بإلهه» (مز 3: 1، 2). ولكن نعمة الرب تسنده، فيهتف: «أما أنت يا رب فترسٌ لي. مجدي ورافع رأسي» (مز 3: 3)، ويطيع قول المسيح: «لا تهتمّوا للغد، لأن الغد يهتم بما لنفسه. يكفي اليوم شرُّه» (مت 6: 34).

ويتعرَّض المؤمن لأخطار من مجتمعه، فقد يضطهدونه، أو يطردونه من عمله، أو يخونه أقرب الناس إليه، ولكنه يقول: «من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدَّة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف؟» (رو 8: 35).

ما أكثر ما يحيط بالمؤمن من صعوبات في كل مراحل حياته، ولكل مرحلة عُمر تجاربها ومتاعبها. لكن المواعيد الإلهية تسانده فيها كلها، وتنصره عليها، وعندها يقول للرب: «ملجإي وحصني إلهي فأتَّكل عليه». فإذا تعلقنا به ينجينا. وقد تجوز كنيستنا اليوم اختباراً كاختبار بني إسرائيل في مصر، لكن لا بد أن نخرج منه بنعمة الله. وقد ندخل اختباراً كسبي بابل، لكن لابد أن يردّ الرب سبينا فنعود منه وقد تخلَّصنا من كل ما يُضعِف صلتنا بالله، فيكون مجد البيت الأخير أعظم من مجد الأول «وفي هذا المكان أُعطي السلام، قال رب الجنود» (حج 2: 9).

يتكوَّن هذا المزمور من 16 آية، نصفها الأول حديث عن اختبارات المؤمن مع الرب، ونصفها الثاني حديث الله للمؤمنين.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – حديث المرنم عن نفسه (آيتا 1، 2)

ثانياً – حديث المرنم لقريبه (آيات 3–8)

ثالثاً – حديث الله للمرنم (آيات 9–16)

أولاً ـ حديث المرنم عن نفسه

(آيتا 1، 2)

1 ـ قاعدة عامة: «الساكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت» (آية 1). ليست هذه الكلمات شعارات لتطمين الناس، لكنها حقائق واختبارات. لقد انهار الذين قالوا إن الدين أفيون الشعوب وانتهوا، أما أقوال الله فهي حقائق مُعاشة وثابتة، اختبرها المؤمنون عبر الأجيال، وسيظلّون يعيشونها واثقين فيها إلى يوم الدين، فهي ليست ماضياً انتهى بل حاضر دائم، وواقع يومي. ويقول المرنم إن كل من يسكن في ستر العلي يبيت في ظل القدير، فالذي يسكن هو الذي يبيت في ظله وحمايته، وهو من صارت الحياة له هي المسيح، وعرف معنى القيامة المنتصرة، والجلوس مع المسيح في السماويات (في 1: 21 و3: 10، 11 وأف 2: 6).

(أ) **المؤمن ساكن ويبيت**: ساكن بمعنى أنه مقيم، ويبيت لأنه مُنتمٍ يقضي ليله في مكان آمِن، فبعد أن أنعم الله عليه بالتبنّي يقيم في بيت الرب أبيه «إلى مدى الأيام» (مز 23: 6)، ويسكن في شركة حلوة بين المؤمنين، ويغمض عينيه ليبيت مطمئناً لأن عيناً ساهرة تحرسه هي عين الإله المحب، ويقول: «أنا اضطجعت ونمت. استيقظت لأن الرب يعضدني» (مز 3: 5) «بسلامة أضطجع، بل أيضاً أنام، لأنك أنت يا رب منفرداً في طمأنينة تسكنني» (مز 4: 8).

(ب) **الرب هو العلي القدير**: العلي فوق كل عالٍ، الذي يرى من علياء سمائه كل شيء، ولا يخفى عنه أمر. الماضي والمستقبل حاضران أمامه، وهو يعرف حاجة المؤمن من قبل أن يسأل (مت 6: 8) فيسدِّد كل احتياجاته. الرب العلي هو سيد الأرض كلها، ساكن السماء، الذي يُشرف من سمائه على البشر ليرى «هل من فاهم طالب الله؟» (مز 14: 2). «ليست خليقة غير ظاهرة قدامه، بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا» (عب 4: 13).. وهو القدير الذي صلى له النبي إرميا قائلاً: «أيها السيد الرب، ها إنك قد صنعت السماوات والأرض بقوتك العظيمة وبذراعك الممدودة. لا يعسر عليك شيء» (إر 32: 17). وقال المسيح: «عند الناس غير مستطاع، ولكن ليس عند الله، لأن كل شيء مستطاع عند الله» (مر 10: 27). له يهتف المؤمنون الغالبون: «عظيمةٌ وعجيبة هي أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شيء. عادلةٌ وحقٌّ هي طرقك يا ملك القديسين» (رؤ 15: 3).

(ج) **المؤمن مستور مظلَّل**: يستر الرب المؤمن بستره فيمتِّعه بالسَّتر والسِّتر، فلا يقرب إليه شر أو عدو. ويُنعِم عليه بظل حمايته، فلا تدنو منه ضربة. لا متاعب من البشر، ولا من الأرواح الشريرة. لا متاعب من أعدائه الذين يكيدون له، ولا من أصدقائه الذين قد يتابعونه بحصار نصائحهم التي لا تفيد! ويحاول العالم أن يُذل المؤمن، لكن الذل لا يدخل إلى نفسه، لأنه يقول: «يخبِّئني في مظلته في يوم الشر. يسترني بستر خيمته» (مز 27: 5).. «أنت سترٌ لي. من الضيق تحفظني. بترنُّم النجاة تكتنفني» (مز 32: 7). «يستر الرب سكان أورشليم، فيكون العاثر منهم في ذلك اليوم مثل داود» (زك 12: 8). «ما أكرم رحمتك يا الله، فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون» (مز 36: 7). «الرب حافظك. الرب ظل لك عن يدك اليمنى» (مز 121: 5).

ويحاول الأشرار مضايقة المؤمن لكنه لا يتضايق، لأن نعمة الرب تطرد الضيق عنه فينتصر، لأنه يدرك أنه لا يتعامل مع البشر، بل مع رب البشر.

2- اختبار شخصي: (آية 2).

(أ) **المرنم رجل صلاة**: «أقول للرب» (آية 2أ). فالحديث الحبي والتواصل الفكري مع الله بالصلاة هو بداية الحياة الإيمانية، وهو إعلان جهاري يمجد الله ويقود الآخرين إلى طريق الإيمان والتوبة. عندما يصلي الخاطئ التائب: «اللهم ارحمني أنا الخاطي» (لو 18: 13) تنفتح أبواب السماء وترسل الاستجابة فوراً ويتبرَّر المصلي التائب. عندما التقى شاول الطرسوسي بالمسيح الحي المُقام قيل عنه: «هوذا يصلي» (أع 9: 11). وتستمر السماء تستجيب للخاطئ الذي تاب، ويقول الرب عنه: «ويكون أني قبلما يدعون أنا أُجيب. وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع» (إش 65: 24). ويتميَّز أبناء الله الأتقياء بالحديث الدائم مع الله واتقين فيه متكلين عليه وشعارهم: «أما أنا فصلاة» (مز 109: 4).

(ب) للمرنم علاقة شخصية بالله: «ملجإي. حصني. إلهي» (آية 2ب). الملجأ هو الحصن المبني على جبل، والمحاط بالأسوار العالية، فيصعب على العدو الوصول إليه أو تسلُّق أسواره واقتحامه. والرب سور نار للمؤمن، وهو الحصن الذي يركض إليه الصدِّيق ويتمنَّع (أم 18: 10) فلا يرى فيه أي تغيير ولا ظل دوران (يع 1: 17). والرب هو العظيم صانع السماء والأرض، ومع ذلك فهو يعطي المؤمن مكانةً خاصة في قلبه المحب، فيدعوه التقي: «إلهي». «حبيبي لي وأنا له» (نش 2: 16) «الإله الذي أنا له والذي أعبده» (أع 27: 23).

(ج) للمرنم علاقة مطمئنة بالله: «فأتكل عليه» (آية 3ج). ما أعظم طمأنينة المؤمن الذي عرف الله واختبره وتأكد من انتمائه له، فبدأ يتصرَّف بحسب ما عرف واختبر. الفاء هنا فاء السببية، وتعني أنه: بما أنك ملجإي وحصني وإلهي لذلك أتكل عليك، خصوصاً في وقت الاحتياج، لأنك وحدك تستحق أن أتكل عليك، وأنا مطمئن إليك. «الرب فادي نفوس عبيده، وكل من اتكل عليه لا يُعاقَب» (مز 34: 22).

ثانياً ـ حديث المرنم لقريبه

(آيات 3-8)

1- يحدِّث المرنم قريبه عمّا يفعله الله: «لأنه ينجّيك من فخ الصياد ومن الوبإ الخطِر. بخوافيه يظللك، وتحت أجنحته تحتمي. تُرسٌ ومجنٌّ حقُّه» (آيتا 3، 4).

(أ) »ينجيك«:

* من «فخ الصياد»: الصياد الأكبر الذي ينصب الفخاخ للناس هو إبليس، ومعه جنوده ممَّن يخدعهم من البشر، ويصفهم المرنم بالقول: «طالبو نفسي نصبوا شركاً، والملتمسون لي الشر تكلموا بالمفاسد، واليوم كله يلهجون بالغش» (مز 38: 12). ويطلب الرسول بولس من تلميذه تيموثاوس أن يؤدِّب المقاومين بوداعة «عسى أن يعطيهم الله توبةً لمعرفة الحق، فيستفيقوا من فخ إبليس إذ قد اقتنصهم لإرادته» (2تي 2: 25، 26). ويلعب إبليس دور أسد ليحقق غايته من اقتناص الناس، فيزأر ليرعب المؤمنين (1بط 5: 8) ولكنه ليس أسداً حقيقياً. وعندما يكون المؤمن داخل حظيرة المسيح يكون في أمان من فخ الصياد غير المنظور، ولن يقدر إبليس أن يصل إليه، ولن ينال منه، لأنه في رعاية الرب الذي يحفظه، فيتحقَّق معه القول: «كل آلة صُوِّرت ضدك لا تنجح» (إش 54: 17)، ويقول مع عزرا الكاهن: «كانت يد إلهنا علينا فأنقذنا من يد العدو والكامن على الطريق» (عز 8: 31). وإبليس لا يملك إلا اقتراح الثورة ضد فكر الله، لكنه لا يُجبِر أحداً على ارتكاب الشر، وهو لا يمكن أن يخطف المؤمن من يد الرب طالما كان المؤمن متمسِّكاً بالرب. فلنكن يقظين حتى نرفض اقتراحات إبليس وعروضه المغرية فلا نقع في فخ الصياد.

* من «الوبإ الخطر»: هناك أوبئة وأمراض ينجي الرب المؤمن منها، ولكن أخطر وبإ هو وبأ الخطية التي تفسد الإنسان. ويفسد المجتمع عندما تصبح الخطية هي الأصل، وتكون التقوى هي الدخيل! حقاً «البر يرفع شأن الأمة، وعار الشعوب الخطية» (أم 14: 34).

(ب) يظللك: «بخوافيه يظللك» (آية 4أ). والخوافي هي الريش الصغير الناعم في بطن الجناح وتحته. والفرخ الصغير لا يحتمل خشونة الريش الكبير، فأعطى الله الخوافي للطائر لتحمي فراخه لئلا يجرحهم الريش

الكبير. ما أحلى عناية الرب الذي يعتني بالصغير كما بالكبير. عندما يكون الإنسان مجروحاً في داخله وخارجه يضمد جراحه بكل المحبة.

(ج) يحميك: «تحت أجنحته تحتمي. ترسٌ ومجنٌّ حقُّه» (آية 4ب، ج). كأن للرب جناحين كبيرين يحمي بهما المؤمن من شرور العالم ومن شمس التجارب ومن هجوم العدو. قال بوعز لراعوث الموآبية: «ليكافئ الرب عملك، وليكن أجرك كاملاً من عند الرب الذي جئتِ لكي تحتمي تحت جناحيه» (را 2: 12). فقد يجيء طائر كبير يحاول أن يخطف الفرخ الصغير، فيمدُّ الأب أو الأم جناحيهما ليحميا الصغير. ويعلِّم النسر صغاره الطيران بالاستعانة بجناحيه الكبيرين «يحرِّك النسر عشه وعلى فراخه يرف ويبسط جناحيه ويحملها على مناكبه» (تث 32: 11).

ويجد المؤمن حمايته في حقّ الرب المعلَن في كلمته، وهي أمضى من كل سيف ذي حدَّين (عب 4: 12). كان الجندي قديماً يحتمي بالترس الكبير وبالمجن (وهو الترس الصغير). والترس قطعة خشب مغطاة بجلد، خلفها مقبض جلدي، وكانوا يغمسون الجلد الذي يغطي الخشب بالزيت لحمايته من التشقُّق. ويمسك الجندي الترس من المقبض ليتلقَّى عليه سهام العدو، فينغرس السهم في الجلد والخشب. وكثيراً ما كان العدو يغطي سهمه بقماش مشتعل، فكان الترس يحمي الجندي من الحريق ومن النزيف الدموي. وكان الجندي يسحب السهم من الترس ويعيد توجيهه نحو العدو، فيرتد سهم العدو إلى نحره. ويقول الإنجيل إن الترس الذي يحمي المؤمن هو ترس الإيمان وتصديق الحق الإلهي، الذي به يطفئ المؤمن جميع سهام الشرير الملتهبة (أف 6: 16). وكلما هاجمنا العدو احتجنا أكثر إلى حق الله المعلَن في كتابه، فلا يضيع منطقنا السليم بسبب الهجوم، بل ننال من حق الله المنطق السليم، فإن «الله لم يعطنا روح الفشل، بل روح القوة والمحبة والنصح» (2تي 1: 7). والنصح هو التفكير السليم.

هل ينتابنا شك في محبة الرب لنا؟ كثيراً ما نصلي ولا يعطينا الله ما طلبناه، فيُخيَّل لنا أنه لا يسمع، لكن حق الرب يقول: «اسألوا تُعطَوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يُفتَح لكم» (لو 11: 9)، ويقول المرنم: «انتظاراً انتظرتُ الرب فمال إليَّ وسمع صراخي» (مز 40: 1). الرب يسمع عندما ندعوه.. أحياناً يسمع طلبنا ويرفضه لأنه ليس الأفضل لنا. وفي أحيان أخرى قد يتأنى في الاستجابة ليعطينا احتياجنا في موعدٍ أفضل. وقد يعطينا ما طلبناه. هذا هو الحق الذي يحمينا من الشكوك. قال المسيح: «تعرفون الحق والحق يحرركم» (يو 8: 32). والحق هو أن الله محبة، وهذا ما اكتشفه الابن الضال، ففي طريق عودته إلى أبيه كان خائفاً من أن يرفضه أبوه، وسرعان ما عرف حقيقة أن أباه يحبه، وكان في كل يوم ينتظر عودته، فتحرر من شكوكه في قبول أبيه له. وعلينا أن نتأكد أن الآب السماوي لا يشاء أن يبقى الخاطئ في مكان بعيد، بل أن يرجع إليه فيحيا. فلا تيأس أبداً من محبة أبيك السماوي، لأن قلبه مفتوح لك. قال الأب عن ابنه الضال الراجع: «ينبغي أن نفرح ونُسر.. لأن ابني هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوُجد» (لو 15: 23، 24). وهذا هو الحق المحرِّر من الخطية ومن الخوف ومن الشك.

2 - يحدِّث المرنم قريبه عما يجب أن يفعله القريب: (آيات 5-8).

(أ) لا يجب أن يخاف: «لا تخشى من خوف الليل، ولا من سهم يطير في النهار، ولا من وبإ يسلك في الدُجى، ولا من هلاك يفسد في الظهيرة» (آيتا 5، 6). عينا الرب تلاحظان المؤمن في كل وقت، في الليل والنهار، وقت الدجى ووقت الظهيرة. كان اليهود يقسمون اليوم إلى شروق وظُهر، وغروب ونصف ليل. ويُطمئن المرنم أخاه المؤمن بأن لا يخاف في أية ساعة على مدار اليوم، فقد يجيء المرض والوبأ، أو يهاجمنا العدو ليلاً.

وأحياناً يحدث كل هذا نهاراً. وفي كل هذه الحالات لا داعي للخوف أو القلق. فلنطلب من الله أن يحقِّق لنا وعده: «إذا اضطجعتَ فلا تخاف، بل تضطجع ويلذّ نومك. لا تخشى من خوفٍ باغت ولا من خراب الأشرار إذا جاء، لأن الرب يكون معتمدك، ويصون رِجلك من أن تُؤخَذ» (أم 3: 24-26).. وقال بعض المفسرين إن الليل والدجى يرمزان إلى وقت الفشل، وإن النهار والظهيرة يرمزان إلى أوقات النجاح. وهناك أخطار تصيبنا وقت الفشل، فننهار ونسقط تحت الضغوط. ولكن أوقات النجاح قد تكون أكثر خطورة على حياتنا الروحية، فننسى الله ونظن أن ذكاءنا جلب لنا النجاح، وقد نضل عن الرب لأننا نعتمد على المال، أو على أصحابنا، أو على شهاداتنا العلمية، أو على نفوذ عائلاتنا. فلا يجب أن نخشى من خوف الليل، ولا من سهام النهار. فلتكن صلاتنا: «لا تعطني فقراً ولا غنى. أطعِمني خبز فريضتي، لئلا أشبع وأكفر وأقول: من هو الرب! أو لئلا أفتقر وأسرق وأتَّخذ اسم إلهي باطلاً» (أم 30: 8، 9).

(ب) سيرى سقوط الأشرار: «يسقط عن جانبك ألف وربوات عن يمينك، إليك لا يقرب. إنما بعينيك تنظر وترى مجازاة الأشرار» (آيتا 7، 8). يؤكد المرنم لكل مؤمن أنه متميِّز ومحروس بقوة الله لخلاصٍ مستعدٍّ أن يُعلَن في الزمان الأخير (1بط 1: 5) «فتعودون وتميِّزون بين الصدِّيق والشرير، بين من يعبد الله ومن لا يعبده» (ملا 3: 18). لقد ميَّز الرب تقيَّه، ففي وقت الخروج من مصر تحوَّل الماء إلى دم في كل البلاد إلا في أرض جاسان (خر 7: 20)، وساد الظلام أرض عُبّاد الوثن، بينما كان لشعب الله نور في مساكنهم (خر 10: 21)، وكان صراخ في كل بيت إلا في بيوت الذين احتموا بالدم فعبر الملاك المهلك عنهم (خر 12: 23)، وعبر شعب الله البحر الأحمر بسلام، وسقط أمامهم الألوف غرقى فيه (خر 14: 30، 31).

فلننتبه ونتعظ ونتوب لننجو من مصير الأشرار الذين يسقطون في الحُفر التي يحفرونها لغيرهم فيسقطون فيها. ولنصلِّ «اللهم ارحمني أنا الخاطي» لتُمحى خطايانا ونضمن أبديتنا ونقول: «كُن ضامني عند نفسك» (أي 17: 3). وليكن لنا الإيمان الواثق بالله ومواعيده، ولنكن مثل كالب بن يفنة ويشوع بن نون اللذين قالا إن الرب سيحقق وعده لشعبه، فنالا المكافأة، وسقطت في القفر جثث جميع الذين لم يؤمنوا، فرأى كالب ويشوع مجازاة الأشرار الذين لم يؤمنوا بوعد ربهم (عدد 14: 36-38).

ثالثاً ـ حديث الله للمرنم

(آيات 9-16)

بدأ المرنم مزموره بالحديث عن اختباره المفرِّح مع الله، ثم التفت يحدِّث قريبه بأفضال الله. وتدخَّل الله ليشجع المؤمن وقريبه بمراحمه الإلهية:

1- يعِدُ الرب المؤمن بدوام الحماية: «لأنك قلت أنت يا رب ملجإي، جعلتَ العليَّ مسكنك، لا يلاقيك شر، ولا تدنو ضربةٌ من خيمتك» (آيتا 9، 10). يتشجَّع المؤمن بصدق كلام الرب الذي بدأ به المزمور، فيقول: «لأنك قلت» «لأنك جعلت». فلم يحب المؤمنُ اللهَ باللسان فقط، بل أحبه بالعمل والحق. لقد صَدَق وهو يقول: «الساكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت»، وصدق وهو يشجع قريبه بأن الألوف يسقطون من حوله، دون أن يقربه شر. شهد المؤمن عن اختباره، وتحدَّث مع قريبه عن صلاح الرب، فشهد الله للمؤمن أنه أمين وواثق. ومن له إيمان سيُعطى ويُزاد (مت 13: 12)، فزاد الرب المؤمن تأكيداً أنه سيستمر معه، فلا يلاقيه هو شخصياً شر، ولا

تدنو ضربة من خيمته، أي جسده أوعائلته وكنيسته ومجتمعه. دخل المسيح سفينة حياة المؤمن، فلا يمكن أن تغرق مهما اشتدَّت الزوابع ومهما علت الأمواج! قال المسيح: «اثبتوا فيَّ وأنا فيكم» (يو 15: 4) ولن يلاقي الغصن الثابت في الكرمة السماوية شر، ولن تدنو ضربة من بيته.. فإذا سمح الله بوقوع ضربة على المؤمن فإن «كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله» (رو 8: 28). فيحوِّل الرب الضربة التي سمح لها أن تدنو من خيمة المؤمن إلى بركة تُثبِّت أوتادها وتزيدها رسوخاً وقوة.

2- يعِدُ الرب المؤمن بالخدمة الملائكية: «لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك. على الأيدي يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك. على الأسد والصِّل تطأ. الشبل والثعبان تدوس» (آيات 11-13). والملائكة «أرواح خادمة مُرسَلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص» (عب 1: 14). ونادراً ما يرى المؤمن الملائكة بعينيه الجسديتين لكنهم موجودون حوله. فتح الملاك عيني هاجر لترى بئر الماء، فروت إسماعيل الذي كان يكاد يموت عطشاً (تك 21: 19). وطمأنت الملائكة يعقوب أب الأسباط وهو ينام في الصحراء وحيداً (تك 28: 12). وجاء ملاك الرب إلى إيليا في الصحراء بكعكة وكوز ماء، فأكل ونام من شدة التعب، وأيقظه الملاك بعدها ليتناول وجبةً أخرى (1مل 19: 4-8). وقال دانيال في جب الأسود: «إلهي أرسل ملاكه وسدَّ أفواه الأسود» (دا 6: 22). وفتح الملاك أبواب السجن لبطرس السجين، وأيقظه وقاده إلى الحرية (أع 12: 7-10). وخدمت الملائكة المسيح بعد انتصاره على تجارب إبليس الثلاث في الصحراء (مت 4: 11). وتفرح الملائكة بالخاطئ التائب (لو 15: 10) وتحمل نفس المؤمن إلى النعيم (لو 16: 22) وفي اليوم الأخير يكون الملائكة حصَّادي نفوس الناس (مت 13: 39). «ملاك الرب حالٌّ حول خائفيه وينجيهم» (مز 34: 7). ويعرف الشيطان خدمة الملائكة للمؤمنين، فاقتبس للمسيح آيتي 11، 12 من مزمورنا وهو يجرِّبه أن يطرح نفسه من على الجبل، فتحرسه الملائكة، فيتبعه الناس (مت 4: 6).

وتحمي ملائكة الله المؤمنين من الخطر الظاهر الذي يعبِّر عنه المرنم بالأسد والشبل، كما يحميهم من الخطر المختفي وهو الصل (نوع خبيث من الحيات) والثعابين. ويصف الكتاب إبليس بأنه كأسد يزأر (1بط 5: 8) وبأنه الحية القديمة (رؤ 12: 9 و20: 2) «لأن إله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً» (رو 16: 20). فليطمئن المؤمنون، لأن نسل المرأة الذي سحق رأس الحية سينجيهم من الأسود والثعابين، ويجعلهم يدوسونهم. وكلمة «تدوس» لها معنى عسكري، فقد كان القائد المنتصر يضع قدمه على عنق القائد المهزوم، ويكون هذا إعلان استسلام المهزوم وانتصار المنتصر. وفي المسيح نقول: «يعظم انتصارنا بالذي أحبنا» (رو 8: 37).

«لأنه هكذا قال الرب: هئنذا أدير عليها سلاماً كنهرٍ، ومجد الأمم كسيل جارفٍ، فترضعون وعلى الأيدي تُحمَلون، وعلى الركبتين تُدلَّلون. كإنسان تعزّيه أمه هكذا أعزيكم أنا» (إش 66: 12، 13).

3 - يعِدُ الرب المؤمن بعلاقة حميمة: (آيات 14-16).

(أ) **المؤمن يحب الله فينجّيه:** «لأنه تعلَّق بي أنجيه» (آية 14أ). يتعلَّق المؤمن بالرب لأن الرب تعلَّق بالمؤمن، فيحب الرب لأن الرب أحبه أولاً (1يو 4: 19). «في هذا هي المحبة: ليس أننا نحن أحببنا الله، بل أنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا» (1يو 4: 10). قال موسى لشعب الله: «التصَقَ الرب بكم واختاركم.. الرب التصق بآبائك ليحبَّهم، فاختار من بعدهم نسلهم الذي هو أنتم، فوق جميع الشعوب، كما في هذا اليوم» (تث 7: 7 و10: 15) فيقولون: «بترنُّم النجاة تكتنفني» (مز 32: 7)، وصدَق الملك داريوس وهو يقول: «هو ينجي وينقذ

ويعمل الآيات والعجائب في السماوات وفي الأرض. هو الذي نجى دانيال من يد الأسود» (دا 6: 27). وهو نفسه الذي سبق أن نجى يوسف من سجن فرعون وأقامه على العرش (تك 41: 14، 41-44)، ونجى داود من يد شاول وولاه المُلك على شعبه (2صم 1: 4)، ونجى مُردخاي من مؤامرة هامان (أس 3-8).

(ب) **المؤمن يعرف الله فيرفّعه**: «أُرفِّعه لأنه عرف اسمي» (آية 14ب). بسبب إعلان الوحي عن الله، ونتيجةً لعمل الروح القدس في القلب، يعرف المؤمن الرب معرفة شخصية، فيتمُّ فيه القول: «ويتَّكل عليك العارفون اسمك، لأنك لم تترك طالبيك يا رب» (مز 9: 10). ويستمر المؤمن يقول: «لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه، متشبِّهاً بموته.. لست أحسب أني قد نلت أو صرت كاملاً، لكني أسعى لعلي أدرك» (في 3: 10، 12). وهنا يرفِّع الرب المؤمن، فيصل إلى مستويات أعلى في التقوى والقُرب من الله، ويرتفع رأسه على أعدائه من حوله. «الرب يرفع الودعاء، ويضع الأشرار إلى الأرض» (مز 147: 6). «يُقيم المسكين من التراب. يرفع الفقير من المزبلة للجلوس مع الشرفاء، ويملِّكهم كرسي المجد» (1صم 2: 8).

(ج) **المؤمن يدعو الله فيستجيبه**: «يدعوني فأستجيب له» (آية 15أ). يحب المؤمن الرب فيخاطبه بدالة البنين «يا أبانا الذي في السماوات» (مت 6: 9) فيستجيب الله ويمنحه بركات السماء والأرض.

(1) **ينقذه من الضيق**: «معه أنا في الضيق: أنقذه وأمجِّده» (آية 15ب). فالرب يقول: «ادعُني في يوم الضيق أنقذك فتمجدني» (مز 50: 15) والمؤمن يجيب: «أما أنت يا رب فتُرسٌ لي. مجدي ورافع رأسي. بصوتي إلى الرب أصرخ فيجيبني من جبل قدسه» (مز 3: 3، 4).

(2) **يطيل أيامه**: «من طول الأيام أُشبعه» (آية 16أ). هذا تحقيق للمواعيد الإلهية «إذ تحب الرب إلهك، وتسمع لصوته، وتلتصق به، لأنه هو حياتك، والذي يطيل أيامك» (تث 30: 20). وقال الحكيم: «يا ابني لا تنسَ شريعتي، بل ليحفظ قلبك وصاياي، فإنها تزيدك طول أيام، وسني حياة، وسلامة.. في يمينها طول أيام، وفي يسارها الغِنى والمجد» (أم 3: 1، 2، 16). وهذا بخلاف الأشرار الذين يسقطون عن جانبك، والذين يجازيهم الله حسب شرهم (آيتا 7، 8). وليس المقصود بطول الأيام كثرة السنين، فهناك سنون طوال لا ثمر فيها ولا عطاء، وهناك سنون قليلة تترك بصمات مباركة. لقد صرف المسيح على أرضنا ثلاثاً وثلاثين سنة، وكانت السنوات الثلاث الأخيرة في خدمته العلنيَّة هي أغني السنين. فلنستخدم أيامنا لمجد الله، ولنطلب منه أن يعوِّضنا عن السنين التي أكلها الجراد (يوئيل 2: 25).

(3) **يريه خلاصه**: «وأريه خلاصي» (آية 16 ب). يطلب المرنم خلاص الرب لشعبه من السبي، ومن الحرب، ومن الأعداء، ومن الجوع، ومن المرض. ويقدم الإنجيل لنا معنى أعمق للخلاص، هو الخلاص من الخطية بفداء المسيح الذي مات من أجلنا على الصليب «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو 3: 16). «مباركٌ الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاءٍ حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات، لميراثٍ لا يفنى ولا يتدنَّس ولا يضمحل، محفوظ في السماوات لأجلكم» (1بط 1: 3، 4). وخلاص المسيح ليس قاصراً على الخلاص من الخطية، لكنه خلاص كامل وشامل.

تعالوا نسكن في ستر العلي ونبيت في ظل القدير، ليرينا خلاصه.

اَلْمَزْمُورُ الثَّانِي وَالتِّسْعُونَ

مَزْمُورُ تَسْبِيحَةٍ. لِيَوْمِ السَّبْتِ

1 حَسَنٌ هُوَ الْحَمْدُ لِلرَّبِّ، وَالتَّرَنُّمُ لاِسْمِكَ أَيُّهَا الْعَلِيُّ. 2أَنْ يُخْبَرَ بِرَحْمَتِكَ فِي الْغَدَاةِ، وَأَمَانَتِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ.
3عَلَى ذَاتِ عَشْرَةِ أَوْتَارٍ، وَعَلَى الرَّبَابِ، عَلَى عَزْفِ الْعُودِ. 4لأَنَّكَ فَرَّحْتَنِي يَا رَبُّ بِصَنَائِعِكَ. بِأَعْمَالِ يَدَيْكَ أَبْتَهِجُ.
5مَا أَعْظَمَ أَعْمَالَكَ يَا رَبُّ، وَأَعْمَقَ جِدّاً أَفْكَارَكَ. 6الرَّجُلُ الْبَلِيدُ لاَ يَعْرِفُ، وَالْجَاهِلُ لاَ يَفْهَمُ هذَا. 7إِذَا زَهَا الأَشْرَارُ
كَالْعُشْبِ، وَأَزْهَرَ كُلُّ فَاعِلِي الإِثْمِ، فَلِكَيْ يُبَادُوا إِلَى الدَّهْرِ. 8أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَمُتَعَالٍ إِلَى الأَبَدِ. 9لأَنَّهُ هُوَذَا أَعْدَاؤُكَ
يَا رَبُّ، لأَنَّهُ هُوَذَا أَعْدَاؤُكَ يَبِيدُونَ. يَتَبَدَّدُ كُلُّ فَاعِلِي الإِثْمِ. 10وَتَنْصِبُ مِثْلَ الْبَقَرِ الْوَحْشِيِّ قَرْنِي. تَدَهَّنْتُ بِزَيْتٍ
طَرِيٍّ. 11وَتُبْصِرُ عَيْنِي بِمُرَاقِبِيَّ، وَبِالْقَائِمِينَ عَلَيَّ بِالشَّرِّ تَسْمَعُ أُذُنَايَ.

12اَلصِّدِّيقُ كَالنَّخْلَةِ يَزْهُو. كَالأَرْزِ فِي لُبْنَانَ يَنْمُو. 13مَغْرُوسِينَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ، فِي دِيَارِ إِلهِنَا يُزْهِرُونَ.
14أَيْضاً يُثْمِرُونَ فِي الشَّيْبَةِ. يَكُونُونَ دِسَاماً وَخُضْراً، 15لِيُخْبِرُوا بِأَنَّ الرَّبَّ مُسْتَقِيمٌ. صَخْرَتِي هُوَ وَلاَ ظُلْمَ فِيهِ.

دعوة للتسبيح في يوم الرب

هذا المزمور تسبيحة «ليوم السبت» يسبِّح فيها المرنم للرب، مستخدماً مختلف الآلات الموسيقية من ذات العشرة أوتار والرباب والعود (آية 3) لتُضفي المزيد من البهجة على تسبيحه المُلذّ. وهو مزمور متفائل عامر بالفرح، لأنه حمدٌ لله العلي المرتفع (آية 1) المتعالي جداً (آية 8) الذي من علوِّ سمائه يرى كل احتياجات المؤمن فيمدُّ يد عظمته ومحبته ليسدِّدها كلها. وهو تسبيح للرب العادل الذي يبدِّد كل فاعلي الإثم (آية 9) ويمنح المؤمنين الثمر الروحي فيصير «الصدِّيق كالنخلة يزهو، كالأرز في لبنان ينمو» (آية 12). ويسبح المرنِّم الرب الذي يرى الخاطئ ويعاقبه ويطهِّر الأرض من أفعاله الشريرة، كما أنه يرحم الذين يقبلون رحمته، وينقِّيهم ليأتوا بثمر كثير ودائم في كل مراحل عمرهم. «يثمرون في الشيبة. يكونون دِساماً وخُضراً» (آية 14) ولا يخافون من الشيخوخة لأنهم يقضونها مع المسيح الذي قال: «أتيتُ لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل» (يو 10: 10).

دعونا نشترك مع صاحب المزمور في تسبيح الله الذي خلقنا على صورته كشَبَهه، فالإنسان على صورة الرحمان. ولما أفسد الإنسان صورته الجميلة بعصيانه عمل الله على فدائه وكفَّر عنه خطاياه ليُعيد له الصورة الأولى التي شوَّهتها الخطية. وكل مؤمن مولود من الله يشهد لهذه الحقيقة، فإنه «بإنسانٍ واحد (آدم الأول) دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع.. لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد، فبالأَوْلى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر، سيملكون في الحياة بالواحد يسوعَ المسيح» (رو 5: 12، 17). عندها يخبرون بأن الرب مستقيم، لا ظلم فيه، وهو صخرة المؤمن الذي عليه يستند وبه يحتمي (آية 15).

دعونا نشترك مع المرنم في التسبيح في يوم الرب، الذي كان الشعب القديم يحتفل فيه باكتمال عمل الخَلق، ويحتفل فيه المسيحيون باكتمال عمل الفداء بقيامة المسيح من بين الأموات، فقد صُلب يوم الجمعة وقام يوم الأحد «لأن ياه يهوه قوتي وترنيمتي، وقد صار لي خلاصاً» (إش 12: 2).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – البار يسبِّح الله (آيات 1–7)

ثانياً – البار يفرح بالله (آيات 8–15)

أولاً - البار يسبِّح الله

(آيات 1-7)

تشبه فاتحة مزمور 92 فاتحة مزمور 33، في وصف جمال الترنيم للرب بمصاحبة الموسيقى.

1 - وصف الترنُّم: (آيات 1-3).

(أ) **الترنُّم واجب**: «حسنٌ هو الحمد للرب والترنُّم لاسمك أيها العلي» (آية 1). الرب هو الله الذي خلقنا، وهو سيد الأرض كلها، وهو العلي والأعلى فوق كل عالٍ في كل الأرض، وفي يده زمام الأمور، وهو صاحب السلطان والحل والربط، لذلك يستحق وحده أن نرنم له «لأن الترنُّم لإلهنا صالح. لأنه مُلذٌّ. التسبيح لائق» (مز 147: 1). فلنسبحه في كل حين، لأنه يرعانا ويدبِّر أمورنا، ولـيكن شعارنا: «ماذا أردُّ للرب من أجل كل حسناته لي؟ كأس الخلاص أتناول، وباسم الرب أدعو» (مز 116: 12، 13).

والترنيم حسن للمؤمن، فعندما يرنم يتخفَّف من آلامه. في وسط الصعوبات جرِّبْ أن تشكر الله، وستكتشف أنك قد انتعشت. قُل: «باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته» (مز 103: 2). كان مارتن لوثر يقول لأصحابه: «تعالوا نرنم مزموراً فنطرد الشيطان» لأن روح التسبيح والشكر والفرح يبدد اليأس والحزن والفشل، وعندها نقول: «حينئذ امتلأت أفواهنا ضحكاً وألسنتنا ترنُّماً» (مز 126: 2). بالتسبيح نرتفع عن متاعب العالم ونركز على الرب ملك الملكوت، فهو أبونا السماوي الذي يُنعم علينا بالبركات، ويُخرج لنا من الآكل أُكلاً ومن الجافي حلاوة (قض 14: 14)، والذي يشجعنا بقوله: «قولوا للصدِّيق خير» (إش 3: 10). فلنجرِّب الشكر والتسبيح، ولا نركز تفكيرنا على الصعوبات التي تواجهنا، لأنه سينصرنا عليها وعلى آثارها، فتمتلئ نفوسنا بشكر ملك الملوك، فيسمع الجميع من حولنا «صوت ترنُّم وخلاص في خيام الصدِّيقين» (مز 118: 15). وما أروع أصوات المؤمنين الغالبين وهم يرتلون ترنيمة موسى والحمل (رؤ 15: 3) فقد رنَّم موسى وهو يقود شعب الله إلى الحرية السياسية، أما ترنيمة الحمل فهي ترنيمة الحرية الروحية برفْع خطية العالم.

والترنيم حسن لأنه لغة الطبيعة التي تسبح الله «السماوات تحدِّث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه» (مز 19: 1). وعندما نتأمل الحقول نقول: «اكتست المروج غنماً، والأودية تتعطَّف بُرّاً (قمحاً). تهتف وأيضاً تُغنّي» (مز 65: 13).

والتسبيح حسن لأنه لغة الملائكة، فما أمجد التسابيح التي ملأت جوَّ الأرض قبل مولد المسيح مباشرة، وكان ختامها الترنيمة العظيمة: «المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة» (لو 2: 14). وما أجمل ترنيمة الملائكة التي سمعها إشعياء النبي: «قدوس قدوس قدوس رب الجنود، مجده ملء كل الأرض» (إش 6: 3).

(ب) **الترنُّم شهادة**: «أن يُخبَر برحمتك في الغداة، وأمانتك كل ليلة» (آية 2). في الغداة (أي في الصباح) وفي المساء يعلن المرنم لكل المحيطين به عن رحمة الله وأمانته، ويكون إعلانه بترنيمه وحمده. في بدء كل يوم وفي نهايته يشهد لأمانة الله. وقد طالبت شريعة موسى بتقديم ذبيحة للرب في الصباح وأخرى في المساء (خر 29: 38، 39)، وقال المرنم: «أما أنا فإلى الله أصرخ والرب يخلِّصني. مساءً وصباحاً وظهراً أشكو وأنوح فيسمع صوتي» (مز 55: 16، 17). في الصباح يرتل مخبراً برحمة الله التي حفظته بسلام في الليل لأنه «عند المساء يبيت البكاء، وفي الصباح ترنُّم» (مز 30: 5). «مراحمه لا تزول. هي جديدة في كل صباح» (مرا 3: 23). وفي المساء يرتل معلناً أن الله الأمين سار معه كل اليوم.

(ج) **الترنُّم مبهج**: «على ذات عشرة أوتار، وعلى الرباب، وعلى عزف العود» (آية 3). يرتل المرنم مزموره بابتهاج بمصاحبة الآلات الموسيقية، فيشترك مع كل خليقة الله في الترنيم والتسبيح لله، فأشجار الوعر تغني (1أي 16: 33)، وكواكب الصبح معاً وجميع بني الله (أي 38: 7)، والأودية تغني (مز 65: 13)، والجبال تغني (إش 55: 12). وفي سفر الرؤيا نقرأ عن ترنيم 144 ألف مؤمن كُتب اسم الرب على جباههم، يعزفون بقيثاراتهم ويرنمون ترنيمة جديدة أمام العرش (رؤ 14: 1-5). وتصاحب الآلات الموسيقية الترنيم لتُضفي عليه جمالاً، من عود ورباب ذي عشرة أوتار، وهي أفضل آلات العزف في زمان المرنم. لكن حتى لو لم تكن هناك آلات عزف فإن المؤمنين يترنمون ويرتلون في قلوبهم للرب (أف 5: 19). وفي هذا التسبيح تشابُهٌ كما أن به جِدَّةً «غنّوا له أغنية جديدة. أحسِنوا العزف بالهتاف» (مز 33: 3).

2 - دافعان على الترنُّم: (آيات 4-7).

(أ) **لشكر الخالق**: «لأنك فرَّحتني يا رب بصنائعك. بأعمال يديك أبتهج. ما أعظم أعمالك يا رب، وأعمق جداً أفكارك» (آيتا 4، 5). أعمال الرب متسعة الدوائر، ومستمرة، وكلها تهدف إلى خير البشر، وكل وسائل عملها مقدسة. فما أعظم أعماله وما أبهجها للمؤمن، في الخلق، وفي الفداء، وفي العناية. فلنتأمل الطبيعة وجمالها والجبال وجلالها والبحار وقوتها، ولنتأمل معها زنابق الحقل بألوانها البديعة ورقَّتها الفريدة. كلها بحكمة صنع!.. وتأملوا أعماله في الكفارة والفداء والغفران، وكيف كسا أبوينا الأوَّلين بعد أن عرّاهما العصيان وعجزا عن ستر نفسيهما، وكيف افتُدي إسحاق بن إبراهيم الخليل بالذبح العظيم الذي يرمز إلى المسيح فادي البشر، والذي ليس

بأحدٍ غيره الخلاص. في صليب المسيح وحده تلتقي الرحمة والعدل، كما قال المرنم: «الرحمة والحقُّ التقيا. البرُّ والسلام تلاثما» (مز 85: 10).. وتأملوا أعمال عنايته الفريدة وهو يطعم الطيور ويكسو الزهور! لقد وسعت عناية الله كل شيء، وما أجمل كلمات المسيح: «أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل» (يو 5: 17). الرب الحي يعمل في وسطنا، وهو صانع المعجزات التي لا تتوقَّف، ولن تتوقف، لأن احتياجاتنا مستمرة، ولأنه هو لم يتغيَّر، و«يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد» (عب 13: 8). ومن الغريب أننا نجد من ينكر حدوث المعجزات في يومنا. كأنه يقول إن الإنسان أصبح مكتفياً بقدراته العلمية والمادية التي تحل له كل مشاكله، أو كأنه يقول إن الله لم يعُد راغباً في إجراء المعجزات. والحقيقة هي أن التقدُّم العلمي يكشف للإنسان مقدار ما يجهله، وهذا هو تواضع العلماء. كما أن الله لا زال يحب البشر وسيظل، ويريد أن يمدَّ لهم يد العون في كل حين.

(ب) **للبُعد عن الجهالة**: «الرجل البليد لا يعرف، والجاهل لا يفهم هذا. إذا زها الأشرار كالعشب وأزهر كل فاعلي الإثم، فلكي يُبادوا إلى الدهر» (آيتا 6، 7). الإنسان بليد وجاهل ما لم يرفع عينيه ليتعلَّم من الله، والحكيم هو الذي يطلب من الله أن يعرِّفه ويعلِّمه ويدرِّبه (مز 25) فيسمع الرب يقول له: «أعلِّمك وأرشدك الطريق التي تسلكها. أنصحك. عيني عليك» (مز 32: 8).. بعد أن فتح الرب عيني المرنم على الحق رفض أن يسلك سبُل الأشرار، حتى لو رآهم ناجحين في أمور هذا العالم، لأن زهوهم ونجاحهم سرعان ما يذبل، فإنهم كالعشب الذي ينمو سريعاً ويجف سريعاً. «لا تَغَر من الأشرار، ولا تحسد عمّال الإثم، فإنهم مثلَ الحشيش سريعاً يُقطعون، ومثلَ العشب الأخضر يذبلون» (مز 37: 1، 2). ومن الغريب أن الأشرار الأذكياء في أمور دنياهم جُهّالٌ في أمور دينهم، لا يدركون معجزات الخَلق والفداء والعناية. إنهم يظنون أن ثراءهم ناتج عن ذكائهم واجتهادهم، وينسون نعمة الله المخلِّصة من الخطية، المتوافرة لهم، لكنهم لا يتمتعون بها، لأنهم كافرون بها أو رافضون لها. «قال الجاهل في قلبه: ليس إله!» (مز 14: 1). صحيحٌ أنه «لا يَهلك كلُّ من يؤمن به» (يو 3: 16)، أما الذي يرفض فإنه لا بد يهلك، ويُباد من الأرض ذكره، ويكون الجحيم مثواه. إنهم كالعصافة التي تذرّيها الريح، مهما بدا أنهم خُضرٌ ناجحون (مز 1: 4). الشرير عشب (آية 7) والمؤمن نخلة وشجرة أرز (آية 12). فماذا تريد أن تكون؟

ثانياً ـ البار يفرح بالله
(آيات 8-15)

في هذا القسم من المزمور يعبِّر المرنم عن فرحه بالرب العادل الذي يعاقب الخاطئ على شرِّه. وقد يبدو أن هذا قسوةٌ من البار على الشرير، لكن الحقيقة هي أن الشرير يجلب الشر على رأس نفسه، أما البار فلا بد أن يفرح ببركات الإله المحب الذي برَّره.

1 - يفرح البار بعدالة الله التي تعاقب الخاطئ: «أما أنت يا رب فمتعالٍ إلى الأبد. لأنه هوذا أعداؤك يا رب، لأنه هوذا أعداؤك يبيدون. يتبدَّد كل فاعلي الإثم» (آيتا 8، 9). في هاتين الآيتين يحدِّث المرنم ربَّه العالي المرتفع، الذي يرى كل شيء ولا يخفى عنه أمر، ولا بد أن يجازي كل واحد حسب عمله (مت 16: 27). ويطلق المرنم على الخطاة صفتين، فيسمِّيهم «أعداء الرب» و«فاعلي الإثم». وهل يجرؤ أحدٌ أن يعادي الرب، وهو العالي الأزلي الأبدي؟ لا بد أنه فقد كل منطق سليم، لأنه «مخيف هو الوقوع في يدي الإله الحي» (عب 10: 31). ويوضح لنا الرسول بولس سبب هذه الحماقة في قوله: «إله هذا الدهر (إبليس) قد أعمى أذهان غير المؤمنين، لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله» (2كو 4: 4). فليس سبب عداوتهم للرب غموض إعلان الرب عن نفسه لهم، لكن لأن الشيطان أعمى قلوبهم وعقولهم. ومع أن الله أرسل إليهم الأنبياء والرسل، وجاءهم مخلِّصاً في المسيح، إلا أنهم «لما عرفوا الله لم يمجِّدوه أو يشكروه كإله، بل حمقوا في أفكارهم وأظلم قلبهم الغبي» (رو 1: 21). قال المسيح لأهل أورشليم الذين رفضوه: «يا أورشليم، يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسَلين إليها، كم مرةٍ أردتُ أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم تريدوا. هوذا بيتكم يُترَك لكم خراباً» (مت 23: 37، 38). فالذين يفعلون الإثم يعملون إرادة الشيطان، وهم أبناء لإبليس، ولا بد أن يدفعوا أجرة انحرافهم وينالوا جزاء شرورهم، فيكونون «كالثوب يأكلهم العث، وكالصوف يأكلهم السوس» (إش 51: 8).

2 - يفرح البار بعدالة الله التي تكافئ المؤمن: (آيات 10–15).

(أ) **ينصره الله على أعدائه**: «وتَنصب مثل البقر الوحشي قرني. تدهَّنْتُ بزيت طريّ. وتبصر عيني بمراقبيَّ (الجواسيس)، وبالقائمين عليَّ بالشر تَسمع أُذناي» (آيتا 10، 11). القرن رمز القوة، به يهاجم البقر الوحشي عدوَّه فيعجز عن مواجهته. والرب يعطي المؤمن قوة فلا تصيبه هزيمة، بل ينتصب أمام أعدائه منتصراً. ««كل قرون الأشرار أعضب (أقطع). قرون الصدِّيق تنتصب» (مز 75: 10). ويمنح الرب المؤمن «زيتاً طرياً» يتدهَّن به. والزيت الطري هو زيت الزيتون الطازج، يدهن الرب المؤمن به

ليكرمه وينعشه، وهو يرمز للنعمة الإلهية التي يمسحنا الله بها كل يوم. عندما تحس بفتور وجفاف روحي تدخل إلى مخدعك وتغلق بابك وتصلي إلى أبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية بالانتعاش الحقيقي (مت 6: 6). الجفاف الروحي يصيبنا بالخشونة وتيبُّس العضلات الروحية فننهزم أمام التجارب البسيطة، ولكن مسحة الروح القدس تقوينا بالرب فنواجه تجارب الحياة بانتصار. فلنطلب من الرب دوماً «الزيت الطري» لأن المسيح قال: «إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي. اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً» (يو 16: 24). وقال: «ستنالون قوةً متى حلَّ الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهوداً» (أع 1: 8).

ويراقب الأشرار المؤمن، بمعنى أنهم يتجسسون عليه ليشتكوه، أو ليهاجموه. وهم يتجسسون لأنهم لا يملكون شجاعة المواجهة، بسبب ضعفهم أمام قوته الأخلاقية. ولا بد أن يحل بهم العقاب فترى عينا المؤمن وتسمع أذناه بمصيرهم السيء. إنه لا ينتقم منهم، لكنه يرى ويسمع أن الرب الإله العادل فعل هذا. «لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء.. لأنه مكتوب: لي النقمة أنا أجازي يقول الرب» (رو 12: 19) «والرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر 14:14). «لا يغلبنَّك الشر، بل اغلب الشر بالخير» (رو 12: 21).

(ب) يزرعه الله في بيته: «الصديق كالنخلة يزهو، كالأرز في لبنان ينمو. مغروسين في بيت الرب. في ديار إلهنا يزهرون» (آيتا 12، 13). يحب المؤمن بيت الرب ويريد أن يسكن فيه إلى مدى الأيام (مز 23: 6). ولا بد أن المرنم كان يفكر في نخلة وشجرة أرز مزروعتين في ساحة الهيكل، فرآهما، ورأى نفسه فيهما.

* النخلة وشجرة الأرز دائمتا الخضرة حتى لو كانت المياه حولهما قليلة، والظروف المناخية حولهما قاسية. فتنمو النخلة حتى في الصحراء، وتنمو شجرة الأرز على الجبال وسط الثلوج. وكلتاهما تنموان ببطء، وترتفعان إلى أعلى باستقامة، وجذورهما تتعمق إلى أسفل. وكذلك المؤمن لا ينمو بسرعة لأنه يتأصَّل ويضرب بجذوره إلى أسفل فيرتفع إلى أعلى ويثمر، وذلك بالصلاة ودراسة الكتاب والتأمل، وتطبيق ما يعرفه في حياته اليومية، وهذا يحتاج إلى وقت وجهد وشجاعة وإصرار واستمرار عملاً بالوصية: «انموا في النعمة وفي معرفة ربنا يسوع المسيح» (2بط 3: 18). المؤمن إذاً كشجرة مغروسة عند المياه الجارية، تعطي ثمرها في أوانه، وورقها لا يذبل، وكل ما يصنعه ينجح (مز 1: 1-3. راجع إر 17: 7، 8).

* النخلة وشجرة الأرز معمِّرتان: تعيش النخلة أكثر من مئة سنة وتعيش شجرة الأرز إلى ألف سنة. ولما كانتا مزروعتين في فناء الهيكل فإنهما تنالان بركة أكبر لوجودهما في المكان المقدس، ورعاية أفضل فتُعمِّران أطول. وهذا هو حال المؤمن الساكن في ستر العلي.. تنظر إلى الشرير فلا تجده، أما المؤمن فإن الله يمتعه بطول الأيام وعمقها، ويكون ذكره في حياته وبعد موته للبركة (أم 10: 7).

* النخلة وشجرة الأرز مفيدتان ومثمرتان: نأخذ من النخلة التمر، وهو غذاء غني بالفوائد، والمؤمن شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة (مت 7: 17). وكم استراح بنو إسرائيل في الصحراء في إيليم، حيث وجدوا اثنتي عشرة عين ماء وسبعين نخلة (خر 15: 27). ويُستخدم سعف النخل في الاحتفال بعيد المظال (لا 23: 40) واستعمله سكان أورشليم للترحيب بالمسيح يوم دخوله الانتصاري (يو 12: 13). وكانت دبورة القاضية تجلس تحت نخلة دُعيت «نخلة دبُورة» (قض 4: 5). أما خشب الأرز فكان يُستخدم في التطهير الطقسي (لاويين 14: 4) وفي الأبنية الفخمة مثل قصر الملك داود (2صم 5: 11) وقصر الملك سليمان (1مل 7: 2) وهيكل سليمان (1أي 22: 4). ولخشب الأرز رائحة جميلة، وكان القدماء يستخرجون منه نوعاً من التربنتينا لحفظ الرقوق والثياب. ويشكِّل المؤمن عنصراً أساسياً في تجميل مجتمعه وحفظه من الفساد، فهو ملحٌ للأرض ونورٌ للعالم (مت 5: 13، 14).

(ج) يُثمره الله في الشيبة: «أيضاً يثمرون في الشيبة. يكونون دِساماً وخُضراً» (آية 14). يتحقَّق معهم الوعد: «تاج جمال شَيْبةٌ توجد في طريق البر» (أم 16: 31)، وتُستجاب الصلاة: «إلى الشيخوخة والشَّيْبة يا الله لا تتركني حتى أخبر بذراعك الجيل المقبل، وبقوَّتك كلَّ آت» (مز 71: 18)، فيقول الله: «إلى الشيخوخة أنا هو، وإلى الشيبة أنا أحمل. قد فعلتُ، وأنا أرفع، وأنا أحمل وأنجّي» (إش 46: 4). كلما تقدَّم المؤمن في العمر يكون دسِماً وأخضر، لأنه يذكر الأعمال التي أكملها، فيقول مع المسيح: «العمل الذي أعطيتَني لأعمل قد أكملتُه» (يو 17: 4)، ويأمُل أن يُنجز في المستقبل أفضل من كل ما أنجز في ماضيه، فليس الثمر قاصراً على مرحلة عمر معيَّنة، لأنه نتيجة عصارة النعمة التي تسري في المؤمن، ولأنه عمل الله فيه. وعندما يضعف المؤمن يجدد الرب قوَّته، «وإن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدَّد يوماً فيوماً» (2كو 4: 16). فلنطمع في ثمر روحي أكثر مهما تقدَّم بنا العُمر، فننمو روحياً، وتزيد محبتنا للرب، ونصبح أكثر طاعةً، فنكون كنخلة وكشجرة أرز، وكزيتونة خضراء في بيت الرب (مز 52: 8) نتدهَّن بزيت طري، هو مسحة الروح القدس (1يو 2: 20، 27).

(د) يجعله الله يشهد له: «ليخبروا بأن الرب مستقيم. صخرتي هو، لا ظلم فيه» (آية 15). يعطي الرب المؤمن شرف الشهادة له، ويجعله كارزاً بحقِّه، يخبر بفضائل الذي دعاه من الظلمة إلى نوره العجيب (1بط 2: 9). والله المستقيم يعطي المؤمن به استقامةً ويمنحه العلاقة السليمة معه، فيشهد لربِّه أنه صخر الدهور الذي لا يتغير، الذي يستند إليه الخاطئ للاختباء والاحتماء. ومن أمانة الرب أنه لا يترك أتقياءه إن ابتعدوا عنه، بل يردُّهم إليه.. فتح شاب قلبه للمسيح وقبِله مخلِّصاً له، وعاش عدة سنوات يحب الرب من كل قلبه، وأكرمه الرب فصار رجل أعمال ناجحاً. ولكنه بعد نجاحه انشغل بأعماله ونسي إلهه مدة أربعين سنة. وفجأة أصابه مرض اضطره للرقاد على ظهره أربعين يوماً فلم يكن لديه إلا أن يتطلع إلى فوق! فقال: «كم أشكر الله لأنه يحبني، وقد افتقدني بعد طول بُعدٍ عنه. نسيته أربعين سنة، فأرقدني على ظهري أربعين يوماً لأرفع عينيَّ نحوه وأذكر محبته لي. لقد أكرمني بمرضي أضعاف ما أكرمني بنجاحي في عملي».

دعونا نشكر الرب ونفرح به، ونخبر بأنه مستقيم، فنكون دساماً وخُضراً في حياتنا الروحية.

اَلْمَزْمُورُ الثَّالِثُ وَالتِّسْعُونَ

1 اَلرَّبُّ قَدْ مَلَكَ. لَبِسَ الْجَلاَلَ. لَبِسَ الرَّبُّ الْقُدْرَةَ. اتَّزَرَ بِهَا. أَيْضاً تَثَبَّتَتِ الْمَسْكُونَةُ. لاَ تَتَزَعْزَعُ. 2كُرْسِيُّكَ مُثْبَتَةٌ مُنْذُ الْقِدَمِ. مُنْذُ الأَزَلِ أَنْتَ. 3رَفَعَتِ الأَنْهَارُ يَا رَبُّ، رَفَعَتِ الأَنْهَارُ صَوْتَهَا. تَرْفَعُ الأَنْهَارُ عَجِيجَهَا. 4مِنْ أَصْوَاتِ مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ، مِنْ غِمَارِ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ الرَّبُّ فِي الْعُلَى أَقْدَرُ. 5شَهَادَاتُكَ ثَابِتَةٌ جِدّاً. بِبَيْتِكَ تَلِيقُ الْقَدَاسَةُ يَا رَبُّ إِلَى طُولِ الأَيَّامِ.

الرب الملك

هذا المزمور مقدِّمة لستَّة مزامير موضوعها تسبيح الله الملك (هي مزامير 95–100). يبدأ كل مزمورٍ منها بالتسبيح لله والهتاف له، والترنيم والإعلان أنه هو الملك وقد مَلَك، فهو الملك منذ الأزل وإلى الأبد. قال موسى في ترنيمته بعد عبور البحر الأحمر إن الله «يملك إلى الدهر والأبد» (خر 15: 18) وقال صموئيل النبي لبني إسرائيل: «الرب إلهكم ملِكُكم» (1صم 12: 12). ولما بوَّق الملاك السابع هتف الشيوخ الأربعة والعشرون، الذين يمثِّلون الشعبين القديم والجديد، وقالوا: «نشكرك أيها الرب الإله القادر على كل شيء، الكائن والذي كان والذي يأتي، لأنك أخذتَ قدرتك العظيمة وملكت» (رؤ 11: 17). ويقول يوحنا الرائي: «وسمعتُ كصوت جمعٍ كثير، وكصوت مياهٍ كثيرة، وكصوت رعودٍ شديدة، قائلة: هللويا، فإنه قد ملك الرب الإله القادر على كل شيء» (رؤ 19: 6).

ويبدو أحياناً للبشر محدودي الرؤية أن زمام بعض الأمور ليس في يد الرب الملك، كما حدث عندما ضلَّ عنه شعبه القديم، فسلَّط عليهم الملك نبوخذنصَّر ليسبيهم مدة سبعين سنة، فتساءل البعض: كيف يسمح الرب بتسليم شعبه لأعدائهم؟ هل صار العدو أقوى من قدرة الرب على حماية شعبه؟.. لكن الحقيقة هي أن الله الملك العظيم يسمح للبشر الذين خلقهم أن يكوِّنوا حزب معارضة، ولكن زمام الأمور يظل دائماً في يده، فعندما كملت السنوات السبعون للسبي البابلي أعاد الرب شعبه إلى أرضهم. وقال النبي دانيال: «في السنة الأولى لداريّوس بن أحشويروش، من نسل الماديين الذي مُلِّك على مملكة الكلدانيين، في السنة الأولى من مُلكه، أنا دانيال فهمتُ من الكتب عدد السنين التي كانت عنها كلمة الرب إلى إرميا النبي لكَمَالة سبعين سنة على خراب أورشليم، فوجَّهتُ وجهي إلى الله السيد، طالباً بالصلاة والتضرعات» (دا 9: 1–3). وفي الموعد المعيَّن من الله عاد الشعب إلى أرضهم وقد تابوا عن عبادة الوثن، ولم يعودوا إليها أبداً، فهتفوا «الرب قد ملك»!

في هذا المزمور نجد:

أولاً – مُلك الملك (آيتا 1، 2)

ثانياً – أعداء يقاومون الملك (آيتا 3، 4)

ثالثاً – انتصار كلمة الملك (آية 5)

أولاً ـ مُلك الملك
(آيتا 1، 2)

1 - الرب هو الملك: «الرب قد ملك» (آية 1أ). هذه حقيقة تظهر في أعمال الله حولنا، فنصلي قائلين: «لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد» (مت 6: 13). قال بعض المفسرين إن قول المرنم «الرب قد ملك» يعني أن الله خلق الملائكة والكون والطبيعة والبشر واستراح في اليوم السابع، فاستوى على عرشه وجلس ملكاً، تخضع له الملائكة والطبيعة، وينفّذ كل البشر مشيئته، سواء بإرادتهم أم رغماً عنهم. وقال مفسرون آخرون إن هذا القول يعني أن الله خلق العالم، ولكن «قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه قائلين: لنقطع قيودهما، ولنطرح عنا ربطهما» (مز 2: 2، 3)، فيحطمهم بقضيب من حديد، ومثل إناء خزّافٍ يكسّرهم (مز 2: 9) «لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه» (1كو 15: 25). يبدو للعين البسيطة أن معارضي الرب قد عطلوا مُلكه، ويبدو للمؤمنين في وقت ضعفهم أن الأشرار قد تسلَّطوا على العالم، وكأن الرب قد فقد سلطانه على الكون، فيصرخون مع النبي إشعياء: «استيقظي استيقظي، البَسي قوةً يا ذراع الرب. استيقظي كما في أيام القِدم كما في الأدوار القديمة.. ألستِ أنتِ هي المنشِّفة البحر.. الجاعلة أعماق البحر طريقاً لعبور المفديين؟» (إش 51: 9، 10)، فيثبِّت الرب إيمانهم الضعيف ويزيل الغشاوة من على عيونهم فيرون أنه الملك، ويهتفون: «ما أجمل على الجبال قدمي المبشِّر، المخبر بالسلام، المبشِّر بالخير، المخبر بالخلاص، القائل: قد ملك إلهك» (إش 52: 7). والخلاص كائنٌ في أن «الرب قد ملك» فأرجع شعبه من السبي البابلي ليعيدوا بناء الهيكل، ويقدموا له العبادة فيه بحسب شريعة موسى.

ونمرُّ نحن بمثل هذا الاختبار، إذ يتسلَّط علينا إبليس، أو يهزمنا القلق، أو تغلبنا الشكوك، فنصرخ إلى الله فيستجيب صلاتنا وينقذنا ويرفعنا، فنهتف مع المرنم: «الرب قد ملك»، ونقول مع الملك داود: «مباركٌ أنت أيها الرب من الأزل وإلى الأبد. لك يا رب العظمة والجبروت والجلال والبهاء والمجد، لأن لك كل ما في السماء والأرض. لك يا رب المُلك وقد ارتفعت رأساً على الجميع. والغِنى والكرامة من لدنك، وأنت تتسلط على الجميع، وبيدك القوة والجبروت، وبيدك تعظيم وتشديد الجميع» (1أخ 29: 10–12). وما أجمل صلاة الملك يهوشافاط: «يا رب، إلهَ آبائنا، أمَا أنت هو الله في السماء، وأنت المتسلّط على جميع ممالك الأمم، وبيدك قوةٌ وجبروتٌ، وليس من يقف معك؟» (2أخ 20: 6). بعدها نرتل:

قد تحيرت كثيراً	واستبدَّت بي الهموم
عصف الحزن بقلبي	ضِعتُ في ليلٍ بهيم
غير أن الله أسرى	بي إلى فجرٍ عميم
وإذا بي بعد ذاك اليأسِ	أجثو للصلاة
وأرى نفسي اطمأنَّت	عند أعتاب الإله

2 - جلال الملك: «لبس الجلال» (آية 1ب). الجلال هو المجد والعظمة والمقام المرتفع، وقد لبِسَه الله ليحارب أعداء شعبه «لبِس البرَّ كدرْعٍ، وخوذةَ الخلاص على رأسه» (إش 59: 17). لم يلبس مظهر الجلال لكنه لبس الجلال نفسه كثوب فريد وحيد! ويدعونا إمام المغنّين لننشد: «يا جميع الأمم صفِّقوا بالأيادي. اهتفوا لله بصوت الابتهاج. لأن الرب عليٌّ مخوف. ملكٌ كبير على كل الأرض. يُخضِع الشعوب تحتنا والأمم تحت أقدامنا» (مز 47: 1–3). فعندما نرى أبناء الملكوت يعانون من الاضطهاد، يجب أن نتشجَّع لأن الرب لبس الجلال. لقد جاءنا المسيح في غاية التواضع مولوداً في مذود، لكنه يلبس الجلال، فرنمت الملائكة وقت مولده، وجاء المجوس من

بلاد بعيدة يسجدون له بعد أن رأوا نجمه في المشرق. وحمله سمعان الشيخ بين يديه بفرح وقال: «لأن عينيَّ قد أبصرتا خلاصك» (لو 2: 30). فهو خلاص الله حتى وهو في مظهره الفقير «فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح: أنه من أجلكم افتقر وهو غني، لكي تستغنوا أنتم بفقره» (2كو 8: 9). ورُفع على خشبة الصليب ومات، ثم بُعث حياً وصعد إلى السماء، ومنها سيعود إلى أرضنا ديناً للأحياء والأموات.

3 - قوة الملك: «لبس الرب القدرة. ائتزر بها. أيضاً تثبَّتت المسكونة، لا تتزعزع» (آية 1ج، د). مرة أخرى يشبِّه المرنم قدرة الله برداء فريد وحيد، فهو «المُثْبت الجبال بقوَّته، المتنطِّق بالقدرة» (مز 65: 6). وما أعظم الذي ائتزر بقدرة المحبة لشعبه. والمحبة هي القدرة في عظمة خدمتها بينما الجبروت هو القوة في عجز طغيانها. في ليلة العشاء الأخير أخذ المسيح منشفةً وائتزر بها، وصبَّ ماءً في مِغسل وجعل يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة (يو 13: 5) فثبَّت قلوبهم في المحبة والتواضع والخدمة.. وائتزر الرب بالعدل وهو القوة الدائمة، بينما الظلم هو القوة المؤقَّتة «بدين المسكونة بالعدل والشعوب بالاستقامة» (مز 98: 9). لبس الرب القدرة فتثبتت المسكونة حسب القوانين التي وضعها لها «يا رب إله الجنود.. لك السماوات. لك أيضاً الأرض. المسكونة وملؤها أنت أسَّستها. الشمال والجنوب أنت خلقتهما» (مز 89: 8-12).. ولبس الرب القدرة فثبَّت القوانين الأخلاقية «لأنه من قِبَل الرب تتثبَّت خطوات الإنسان، وفي طريقه يُسرُّ» (مز 37: 23)، فقانون «الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً» (غل 6: 7) لا استثناء فيه. وكل من يتحدى القوانين الإلهية يؤذي نفسه. قال الرب لشاول الطرسوسي: «صعبٌ عليك أن ترفس مناخس» (أع 9: 5)، والمنخاس هو سنُّ المحراث الحديدي، فإذا تضايق الثور من جر المحراث يرفس السن، فلا يؤذينَّ إلا نفسه، ويبقى السن يحرث التربة.

4 - أزلية الملك: «كرسيُّك مُثْبتة منذ القِدم. منذ الأزل أنت» (آية 2). يومٌ واحدٌ عنده كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد (2بط 3: 8). وهو القائل: «أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية، يقول الرب الكائن، والذي كان، والذي يأتي، القادر على كل شيء» (رؤ 1: 8). وهو منذ الأزل يعتني بشعبه ويخلِّصهم، ويُحصي شعور رؤوسهم (مت 10: 30 ولو 12: 7). «الإله القديم ملجأ، والأذرع الأبدية من تحت» (تث 33: 27). لن ينسى بنو إسرائيل حادثة الخروج. وتبدأ سنة بني إسرائيل بعيد الفصح، من ساعة حريتهم من عبودية فرعون، كما يبدأ عمرنا الجديد في حياتنا الإيمانية بميلادنا الثاني عندما يدخل المسيح القلب ويغيِّر الحياة ويحررنا من أجرة الخطية التي هي موت (رو 6: 23) ومن تسلُّطها، لأن كل من يعمل الخطية هو عبدٌ للخطية (يو 8: 34). لقد أعدّ الله فداءنا من قبل تأسيس العالم، وقدَّم المسيح نفسه عنا بروح أزلي (عب 9: 14) فلما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من العذراء القديسة مريم (غل 4: 4). حقاً «معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله» (أع 15: 18). فلنبتهج ونفرح لأننا أبناء الملك الذي ملك منذ الأزل. إنه «ملك الدهور الذي لا يفنى ولا يُرى، الإله الحكيم وحده، له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور» (1تي 1: 17).

ثانياً - أعداء يقاومون الملك
(آيتا 3، 4)

1 - الأعداء يقاومون: «رفعت الأنهار يا رب، رفعت الأنهار صوتها. ترفع الأنهار عجيجها» (آية 3). كانت بلاد بني إسرائيل تقع بين ثلاث بلاد تكوِّن قوتين عُظميين، هما بابل وأشور في الشمال، ومصر في الجنوب. فإذا حارب الشماليُّ الجنوبيَّ، أو حارب الجنوبيُّ الشماليَّ يصبح بنو إسرائيل بين شقَّي الرحى! فيشعرون بالانسحاق

والضياع. ويرفع المرنم للرب أمر أعدائه، كما فعل حزقيا وهو ينشر رسائل أعدائه أمام الـرب (إش 37: 14). ويصف المرنم الأعداء بأنهم أنهارٌ تضرب الشاطئ، ولكنها لا تؤذيه، ويقول للرب: «أنت متسلِّطٌ علـى كبريـاء البحر. عند ارتفاع لججه أنت تسكِّنها» (مز 89: 9)، ويقول النبي: «عندما يأتي العدو كنهرٍ فنفخة الرب تدفعـه» (إش 59: 19). ويشبِّه الوحي القوتين العظميين بنهرين هائلين يريدان أن يغرقا بلاده، ولكن دون جدوى، فيقول إن أشور مثل نهر الفرات (إش 8: 7، 8)، وإن مصر كنهر النيل (إر 46: 7، 8). ولكن هذه المقاومة باطلة لأن الرب الملك يدافع عن شعبه، كما أمر المسيح الرياح فهدأت والأمواج فسكنت (مت 8: 26).

2 - المقاومة تنهزم: «من أصوات مياه كثيرة، من غِمار أمواج البحر، الرب في العُلى أَقْدَرُ» (آية 4). تُحدِث المقاومة ضوضاء عالية الصوت، ولكن الرب في عُلاه أكثر قدرة، وكلمته هي النهائية. ويصف النبي إشعياء ملك أشور القوي في الشمال بأنه خادم الرب ورسوله الذي يحقق أهدافه، فيقول: «لذلك هوذا السيد (الـرب) يُصـعِد عليهم مياه النهر القوية والكثيرة، ملكَ أشور وكلَّ مجده. فيصعَد فوق جميع مجاريه، ويجري فوق جميع شطوطه، ويندفِق إلى يهوذا. يفيض ويعبر. يبلغ العُنق. ويكون بسْطُ جناحيه ملء عرض بلادك يا عمانوئيـل» (إش 8: 7، 8). ويصف النبي إرميا كبرياء ملك مصر بقوله: «مَن هذا الصاعد كالنيل، كأنهارٍ تتلاطم أمواهها؟ تصعد مصرُ كالنيل، وكأنهارٍ تتلاطم المياه، فيقول: أصعد وأغطي الأرض. أُهلك المدينة والسـاكنين فيهـا» (إر 46: 7، 8). ومن هول خطر العدو يصرخ النبي: «آهِ! ضجيج شعوب كثيرة تضجُّ كضجيج البحر، وهدير قبائل تهدر كهـدير مياهٍ غزيرة. قبائل تهدر كهدير مياه كثيرة. ولكنه ينتهرها فتهرب بعيداً، وتُطرَد كعُصافة الجبال أمام الريح وكالجُل (أي القش الصغير الدقيق) أمام الزوبعة. في وقت المساء إذا رعب. قبل الصبح ليسوا هم. هذا نصـيب ناهبينـا وحظُّ سالبينا» (إش 17: 12–14). ثم يهتف مع المرنم مطمئناً يرتل: «الله لنا ملجأ وقوة، عوناً في الضيقات وُجد شديداً. لذلك لا نخشى ولو تزحزحت الأرض، ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار. تعجُّ وتجيش مياهها، تتزعـزع الجبال بطموِّها. نهرٌ سواقيه تُفَرّح مدينة الله، مقدس مساكن العلي» (مز 46: 1–4). نعم إنها تعجُّ وتجيش، ولكن النصرة هي للرب، الذي نصر موسى وقومه على فرعون، فغنّى أغنية النصر: «الرب قوَّتي ونشيدي وقد صـار خلاصي. هذا إلهي فأمجِّده، وإله أبي فأرفِّعه. مركبات فرعون وجيشه ألقاهما في البحر، فغرق أفضـل جنـوده المركبيَّة في بحر سوف. تغطيهم اللجج. قد هبطوا في الأعماق كحجر. يمينك يا رب معتزَّة بالقدرة. يمينك يا رب تحطِّم العدو» (خر 15: 1–6).

ثالثاً - انتصار كلمة الملك

(آية 5)

1 - كلمته ثابتة: «شهاداتك ثابتة جداً» (آية 5أ). شهادات الرب هي وعوده الصادقة والأمينة، وهـي ثابتـة لا تغيير فيها لأنها إعلانات الرب الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران (يع 1: 17). وحيث كلمـة الـرب هنـاك سلطان الرب، فعندما نادى المسيح: «لعازر، هلمَّ خارجاً» قام الميت (يو 11: 43، 44). ولو أنـه قـال: «هلـم خارجاً» دون تحديد اسم الميت لقام كل المدفونين في تلك القبور! وأمر المسيح المفلوج: «لك أقول قُـم واحمـل سريرك واذهب إلى بيتك» فقام وحمل السرير وخرج قدام الكل (مر 2: 11، 12).

سأل أحد الأباطرة الرومان الذين اضطهدوا الكنيسة نجاراً مسيحياً قبل استشهاده: «ماذا يصنع نجار الناصرة اليوم؟» فأجابه: «يجهِّز نعشاً للإمبراطورية الرومانية». ثم جاء الإمبراطور الروماني المسيحي الأول قسطنطين، فأوقف اضطهاد الكنيسة، وعقد مجمع نيقية للدفاع عن الإيمان المسيحي حضره 318 أسقفاً، وقبّل أحد الأساقفة في

عينه التي فقدها بسبب الاضطهاد، وأمر بنسخ خمسين كتاباً مقدساً على نفقة الدولة، وهكذا تجهَّز النعش لأعداء النجار الناصري. صَدَقَ كليم الله موسى وهو يقول لبني إسرائيل: «أيُّ شعب هو عظيمٌ، له آلهة قريبةٌ منه كالرب إلهنا في كل أدعيتنا إليه! وأي شعب هو عظيم له فرائضُ وأحكامٌ عادلة مثلُ كل هذه الشريعة التي أنا واضعٌ أمامكم اليوم!» (تث 4: 7، 8).

«شهاداتك ثابتة جداً» تشهد للمؤمنين أن الرب أمين، فهو يعطي شعبه أرضاً صالحة «عينا الرب إلهك عليها دائماً من أول السنة إلى آخرها» (تث 11: 12) ويقول له: «لا أهملك ولا أتركك» (عب 13: 5).. وشهاداته ثابتةٌ جداً عن أعدائه فإنهم «كالعُصافة التي تذرّيها الريح، لذلك لا تقوم الأشرار في الدّين، ولا الخطاة في جماعة الأبرار. لأن الرب يعلم طريق الأبرار، أما طريق الأشرار فتهلك» (مز 1: 4–6).

2 - مكان إعلان كلمته: «ببيتك تليق القداسة يا رب إلى طول الأيام» (آية 5ب). بيت الله هو الهيكل، أو هو الأرض المقدسة التي قال الله عنها: «فتعرفون أني الرب إلهكم، ساكناً في صهيون جبل قدسي. وتكون أورشليم مقدَّسة، ولا يجتاز فيها الأعاجم في ما بعد» (يوئيل 3: 17). وقال عنها النبي إشعياء: «وتسير شعوبٌ كثيرة ويقولون: هلمَّ نصعد إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب، فيعلِّمنا من طرقه ونسلك في سبُله» (إش 2: 3). لما أكمل سليمان بناء الهيكل رنَّم الكهنة «لأن إلى الأبد رحمته» فامتلأ الهيكل سحاباً، ولم يقدروا أن يقفوا للخدمة لأن مجد الرب ملأ بيت الله (2أخ 5: 13، 14). وعندما صلى سليمان وهو يدشن الهيكل ملأ مجد الرب البيت (2أخ 7: 2). فالله يقدس بيته وأرضه بوجوده في وسطها. وبيت الرب هو مكان إعلان كلمته حيث يتعبد الناس، وحيث يوجد المسيح حسب وعده: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت 18: 20).. وأجساد المؤمنين هي بيوت للرب، لأنهم هياكل للروح القدس الساكن فيهم، حسب القول الرسولي: «فإنكم أنتم هيكل الله الحي، كما قال الله: إني سأسكن فيهم وأسير بينهم، وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً» (2كو 6: 16، 17).. وبيوت المؤمنين هي بيوت للرب، وشعار المؤمن: «أما أنا وبيتي فنعبد الرب» (يش 24: 15). وقال المسيح لزكا بعد توبته: «ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك» (لو 19: 5). فلا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين، ولا يجب أن تتزوج المؤمنة إلا مؤمناً، ولا يتزوج المؤمن إلا مؤمنة ليكون بيتهما بيتاً للرب. في بدء تاريخ الكنيسة لم تكن هناك مبانٍ للكنائس، فكان المؤمنون يجتمعون في بيوت بعضهم البعض، فصار بيت كل مؤمن كنيسة روحية وكنيسة فعلية (فل 2). فليجعل الرب بيوتنا كنائس تشهد لنعمة المسيح، فتليق القداسة بمحل مُلكه إلى طول الأيام. عندها نقول بالشكر إن «الرب قد ملك» على المسكونة كلها، فتجثو له كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ينفِّذون مشيئته حباً أو كَرْهاً.

اَلْمَزْمُورُ الرَّابِعُ وَالتِّسْعُونَ

1 يَا إِلَهَ النَّقَمَاتِ، يَا رَبُّ يَا إِلَهَ النَّقَمَاتِ، أَشْرِقِ. 2ارْتَفِعْ يَا دَيَّانَ الأَرْضِ. جَازِ صَنِيعَ الْمُسْتَكْبِرِينَ. 3حَتَّى مَتَى الْخُطَاةُ يَا رَبُّ، حَتَّى مَتَى الْخُطَاةُ يَشْمَتُونَ؟ 4يُبِقُّونَ، يَتَكَلَّمُونَ بِوَقَاحَةٍ. كُلُّ فَاعِلِي الإِثْمِ يَفْتَخِرُونَ. 5يَسْحَقُونَ شَعْبَكَ يَا رَبُّ، وَيُذِلُّونَ مِيرَاثَكَ. 6يَقْتُلُونَ الأَرْمَلَةَ وَالْغَرِيبَ، وَيُمِيتُونَ الْيَتِيمَ. 7وَيَقُولُونَ: «الرَّبُّ لاَ يُبْصِرُ، وَإِلَهُ يَعْقُوبَ لاَ يُلاَحِظُ».

8افْهَمُوا أَيُّهَا الْبُلَدَاءُ فِي الشَّعْبِ. وَيَا جُهَلاَءُ، مَتَى تَعْقِلُونَ؟ 9الْغَارِسُ الأُذُنَ أَلاَ يَسْمَعُ؟ الصَّانِعُ الْعَيْنَ أَلاَ يُبْصِرُ؟ 10الْمُؤَدِّبُ الأُمَمَ أَلاَ يُبَكِّتُ؟ الْمُعَلِّمُ الإِنْسَانَ مَعْرِفَةً. 11الرَّبُّ يَعْرِفُ أَفْكَارَ الإِنْسَانِ أَنَّهَا بَاطِلَةٌ. 12طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي تُؤَدِّبُهُ يَا رَبُّ وَتُعَلِّمُهُ مِنْ شَرِيعَتِكَ، 13لِتُرِيحَهُ مِنْ أَيَّامِ الشَّرِّ، حَتَّى تُحْفَرَ لِلشِّرِّيرِ حُفْرَةٌ، 14لأَنَّ الرَّبَّ لاَ يَرْفُضُ شَعْبَهُ، وَلاَ يَتْرُكُ مِيرَاثَهُ. 15لأَنَّهُ إِلَى الْعَدْلِ يَرْجِعُ الْقَضَاءُ، وَعَلَى أَثَرِهِ كُلُّ مُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ.

16مَنْ يَقُومُ لِي عَلَى الْمُسِيئِينَ؟ مَنْ يَقِفُ لِي ضِدَّ فَاعِلَةِ الإِثْمِ؟ 17لَوْلاَ أَنَّ الرَّبَّ مُعِينِي لَسَكَنَتْ نَفْسِي سَرِيعاً أَرْضَ السُّكُوتِ. 18إِذْ قُلْتُ: «قَدْ زَلَّتْ قَدَمِي» فَرَحْمَتُكَ يَا رَبُّ تَعْضُدُنِي. 19عِنْدَ كَثْرَةِ هُمُومِي فِي دَاخِلِي تَعْزِيَاتُكَ تُلَذِّذُ نَفْسِي. 20هَلْ يُعَاهِدُكَ كُرْسِيُّ الْمَفَاسِدِ، الْمُخْتَلِقُ إِثْماً عَلَى فَرِيضَةٍ؟ 21يَزْدَحِمُونَ عَلَى نَفْسِ الصِّدِّيقِ، وَيَحْكُمُونَ عَلَى دَمٍ زَكِيٍّ. 22فَكَانَ الرَّبُّ لِي صَرْحاً، وَإِلَهِي صَخْرَةَ مَلْجَإِي، 23وَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ إِثْمَهُمْ وَبِشَرِّهِمْ يُفْنِيهِمْ. يُفْنِيهِمُ الرَّبُّ إِلَهُنَا.

نداء لطلب العدالة

في هذا المزمور يشكو المرنم للرب من نجاح الأشرار واضطهادهم للمؤمنين، ولسان حاله يقول: إن كان الرب هو الملك، فلماذا يضطهد الأشرار المؤمنين ويصيبونهم بالأذى، وهم يدَّعون بشرورهم أنهم يقيمون فرائض الرب. كانت مشكلة المرنم كامنةً في أهله وشعبه المنتمين لإله يعقوب (آية 7) المختلقين إثماً على فريضة (آية 20)، لأنهم يعرفون الفريضة الإلهية، لكنهم يلوون معانيها ليستخرجوا منها معاني وشرائع تناقض ما قصده الله منها. وانزعج المرنم من الاضطهاد الذي يقع عليه من قريبه. ولو أن الاضطهاد جاء من عدو لما استغربه، أما وقد جاءه من القريب فقد صرخ منه متسائلاً.

يعبِّر هذا المزمور عن صرخة المضطهَدين في كل زمن: كيف يكون الله ملكاً يسود على كل الخليقة ويسمح باضطهاد الشرير للصدّيق؟ ولكن تعزية المؤمن كامنةٌ في أنه يقدر أن يرفع قلبه للرب الملك، فيجده عوناً في الضيقات وُجد شديداً (مز 46: 1)، ويسمعه يقول: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعَبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (مت 11: 28).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – التماس لطلب العدالة (آيتا 1، 2)

ثانياً – ثلاثة أسئلة (آيات 3–23)

أولاً ـ التماس لطلب العدالة

(آيتا 1، 2)

1 – الاتجاه لإله العدالة: «يا إله النقمات، يا رب يا إله النقمات أشرق. ارتفع يا ديّان الأرض. جازِ صنيع المستكبرين» (آيتا 1، 2). صرخ المرنم يطلب النقمات من مضايقيه، لأن الله قوي مرتفع، وهو ديان الأرض، صاحب الحق وحده في الانتقام لأنه يقول:«لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء بل أعطوا مكانا للغضب، لأنه مكتوب: لي النقمة، أنا أجازي، يقول الرب» (رو 12: 19 مقتبسة من تث 32: 35). وهو «إله مجازاةٍ، يكافئ مكافأةً» (إر 51: 56) يقيم ميزان العدل ويعطي كل ذي حق حقه، لأنه «ليست خليقة غير ظاهرة

قدامه، بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا» (عب 4: 13)، فنقول له: «العدل والحق قاعدة كرسيِّك. الرحمة والأمانة تتقدمان أمام وجهك» (مز 89: 14).

2 – الطلب من إله العدالة:

(أ) **أشرِق**: لأن الله هو النور الحقيقي الذي يبدد كل ظلم وظلام عندما يشرق بنور عدله وبره على شعبه الذي يعاني من الخطاة الذين يعوِّجون الحق، ويقول لشعبه: «أجعل الظلمة أمامهم نوراً والمعوجات مستقيمة. هذه الأمور أفعلها ولا أتركهم» (إش 42: 16).

(ب) **ارتفِع**: الرب هو المرتفع القدوس اسمه الذي يلجأ إليه البائس ويحتمي به المظلوم فينصفه عندما يعتلي منصَّة القضاء ليدين الظالم، الصارخ: «اقضِ لي حسب عدلك يا رب إلهي فلا يشمتوا بي» (مز 35: 24).

(ج) **جازِ**: ولا يملك المجازاة إلا الرب الخالق العادل «مُجري العدل والقضاء لجميع المظلومين» (مز 103: 6) القائل: «إنما بعينيك تنظر وترى مجازاة الأشرار» (مز 91: 8).

ثانياً _ ثلاثة أسئلة

(آيات 3-23)

في حيرة المرنم من كثرة المضايقين، وجد نفسه يثير ثلاثة أسئلة، وكأنه يقول: «إلى متى أجعل هموماً في نفسي وحزناً في قلبي كل يوم؟ إلى متى يرتفع عدوي عليَّ؟ انظُر واستجب لي يا رب إلهي» (مز 13: 2، 3). وبعد أن يسأل يجد الإجابة المطمئنة، لأنه ثابت في الرب مهما أحاطت به الهموم.

السؤال الأول: (آيات 3-15).

1 – السؤال: «حتى متى الخطاة يا رب، حتى متى الخطاة يشمتون؟» (آية 3). يعكس التكرار صرخة الإنسان الضعيف الذي طالت معاناته، فيستعجل الرب ليسرع إلى معونته، مؤمناً أن الحل سيأتيه، كما صرخت نفوس الذين قُتلوا من أجل كلمة الله: «حتى متى أيها السيد القدوس والحق لا تقضي وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض؟ فأُعطوا كل واحد ثياباً بيضاً، وقيل لهم أن يستريحوا زماناً يسيراً أيضاً حتى يكمل العبيد رفقاؤهم وإخوتهم أيضاً العتيدون أن يُقتلوا مثلهم» (رؤ 6: 10، 11).

2 – دوافع السؤال: (آيات 4-7).

(أ) **تكلموا بوقاحة**: «يُبِقّون. يتكلمون بوقاحة. كل فاعلي الإثم يفتخرون» (آية 4). يبقون أي يثرثرون ويخرج من أفواههم سيل من كلمات الوقاحة المليئة بالجرأة والكبرياء والإساءات والكذب، بغير خجل ولا خوف من الرب «تقلَّدوا الكبرياء. لبسوا كثوب ظلمهم. جعلوا أفواههم في السماء وألسنتهم تتمشى على الأرض» (مز 73: 6، 9).

(ب) **سحقوا**: «يسحقون شعبك يا رب ويذلون ميراثك. يقتلون الأرملة، والغريب، ويميتون اليتيم» (آيتا 5، 6). يسحقون الشعب الذي اختاره الرب لنفسه ويذلونه في التراب، فيبدو وكأن عهد الرب مع شعبه قد أُلغي. إنهم مثل الطرسوسي في جهالة تعصُّبه «ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ الرب.. حتى إذا وجد أناساً من الطريق، رجالاً ونساء، يسوقهم موثقين إلى أورشليم» (أع 9: 1-3). وفي أفعالهم الشريرة كسروا وصية الله القائلة: «لا تضطهد الغريب ولا تضايقه.. لا تسئ إلى أرملة ولا يتيم. إن أسأت إليه فإني إن صرخ إليَّ أسمع صراخه» (خر 22: 21-23). ولا عجب فهو «أبو اليتامى وقاضي الأرامل، الله في مسكن قدسه.. مخرج الأسرى إلى فلاح. إنما المتمردون يسكنون الرمضاء» (مز 68: 5، 6).

(ج) **جدَّفوا**: «يقولون: الرب لا يبصر، وإله يعقوب لا يلاحظ» (آية 7). ظلم الأشرار الأبرار، ووجدوا لأنفسهم مبررات من الشريعة، وهم يجدفون على الله بقولهم إنه لا يبصر ولا يلاحظ! فكيف يقولون إنه الرب سيد الكون، وإنه إله يعقوب الأمين للعهود، ثم يناقضون أنفسهم ويقولون إنه لا يعاقب ولا يكافئ؟ لقد قال ليعقوب الخائف الهارب من أخيه: «أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق.. أنا معك وأحفظك حيثما تذهب وأردك إلى هذه الأرض، لأني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به» (تك 28: 13، 15). فكيف يقولون إنه لا يرى؟ لقد شابهوا من قالوا: «الرب لا يُحسن ولا يسيء» (صف 1: 12).

3 – نصيحة للأشرار: (آيات 8-11).

عندما ذكر المرنم أشرار شعبه الذين أساءوا إلى الله وإلى أتقيائه، هاله الموقف، فقدَّم لهم النصيحة لعلهم يتوبون. «الحكمة تنادي في الخارج. في الشوارع تعطي صوتها. تدعو في رؤوس الأسواق في مداخل الأبواب. في المدينة تبدي كلامها قائلة: إلى متى أيها الجهال تحبون الجهل؟.. ارجعوا عند توبيخي. هأنذا أفيض لكم روحي. أعلمكم كلماتي» (أم 1: 20، 23).

(أ) **تحذير من الجهل**: «افهموا أيها البلداء في الشعب. ويا جهلاء، متى تعقلون؟» (آية 8). إساءتهم للمؤمنين وإلى ربهم تنمُّ عن حماقة وجهل روحيين خطيرين، يستحقان وصفهم بالبلداء والجهلاء. «لأن شعبي عمل شرين: تركوني أنا ينبوع المياه الحية لينقروا لأنفسهم آباراً آباراً مشققة لا تضبط ماءً» (إر 2: 13).

(ب) **تنوير من الحق**: (آيات 9-11).

قدم المرنم للأشرار الجهلة ثلاث حقائق:

(1) الله خلقكم: «الغارس الأذن، ألا يسمع؟ الصانع العين، ألا يبصر؟» (آية 9). الذي خلق الأذن يسمع والذي خلق العين يبصر هؤلاء الأشرار القائلين إنه لا يبصر ولا يلاحظ! كيف يكون مبدئ الفكر بلا فكر؟ وكيف لا يملك الصانع أسرار صناعته؟ «نسجتني في بطن أمي.. لم تختفِ عنك عظامي حينما صُنِعتُ في الخفاء.. رأت عيناك أعضائي، وفي سِفرك كلها كُتبت يوم تصوَّرَت إذ لم يكن واحدٌ منها» (مز 139: 13، 15، 16).

(2) الله يبكِّتكم: «المؤدِّب الأمم، ألا يبكت؟ المعلِّم الإنسان معرفة» (آية 10). أباد الله شعوباً أخطأت بالطوفان، وعلَّم فرعون بأن أدَّبه، ولا بد أنه يبكت الخطاة على خطاياهم ليتوبوا، فإن الروح القدس «يبكت العالم على خطية» (يو 16: 8). كما أن كلمة الله تبكت وتقول: «قد نسيتم الوعظ الذي يخاطبكم كبنين: يا ابني، لا تحتقر تأديب الرب، ولا تخُر إذا وبَّخك. لأن الذي يحبه الرب يؤدبه، ويجلد كل ابن يقبله» (عب 12: 5، 6). وتأديبه دائماً للخير، ليعلِّم الإنسان الحكمة الإلهية كما تعلمها بولس الذي كان مجدِّفاً ومفترياً، وفعل ما فعله بجهلٍ في عدم إيمان (1تي 1: 13)، فقال: «إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي، الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية، لكي أربح المسيح» (في 3: 8). ولا زال الله ينادي: «ارجعوا عن طرقكم الردية واحفظوا وصاياي» (2مل 17: 13).

(3) الله يعرفكم: «الرب يعرف أفكار الإنسان أنها باطلة» (آية 11). ينبِّه المرنم الأشرار أن الله يعرف أفكارهم، وأن كل مؤامراتهم ضد شعبه باطلة. وهو يعرف الأفكار والخطط والنيات، وليس الأعمال الظاهرة فقط، «لأن سواعد الأشرار تنكسر، وعاضد الصديقين الرب» (مز 37: 17).

4 – إجابة السؤال الأول: (آيات 12-15).

في إجابة السؤال «حتى متى الخطاة يشمتون؟» يقدم المرنم أربعة أفكار:

(أ) **الرب يؤدب المؤمن ليعلِّمه**: «طوبى للذي تؤدّبه يا رب وتعلّمه من شريعتك» (آية 12). قال أليفاز التيماني: «طوبى لرجلٍ يؤدبه الله، فلا ترفض تأديب القدير» (أي 5: 17) وقال الحكيم: «يا ابني لا تحتقر تأديب الرب ولا تكره توبيخه، لأن الذي يحبه الرب يؤدبه، وكأبٍ بابنٍ يُسرُّ به» (أم 3: 11، 12). وقال الله لداود عن نسله: «إن تعوَّج أؤدبه بقضيب الناس وبضربات بني آدم. ولكن رحمتي لا تُنزع منه» (2صم 7: 14، 15). فليعتبر المؤمن كلام الأشرار ضده، وعنفهم معه، وتجديفهم على الله امتحانات له، يهدف الرب بها تأديبه وتعليمه وتهذيبه، فيقول: «تأديباً أدَّبني الرب وإلى الموت لم يسلمني» (مز 118: 18). ولا بد أن الألم يصاحب التأديب، فإن «كل تأديب في الحاضر لا يُرى أنه للفرح بل للحزن. وأما أخيراً فيعطي الذين يتدربون به ثمر بر للسلام» (عب 12: 11). ويلاحظ التقي أن كلمة الله وعصاه يسيران جنباً إلى جنب، فهو يعلمنا من كلمته، ويؤدبنا إن ضللنا، والتأديب بدون كلمة من الله أتون يصهر المعدن ويشقيه، لكن كلمة الله مع الأتون تصهر المعدن وتنقيه. ويدخلنا الرب بوتقة الألم ليشكل حياتنا لنكون مشابهين صورة ابنه (رو 8: 29). «طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة، لأنه إذا تزكى ينال إكليل الحياة الذي وعد به الرب للذين يحبونه» (يع 1: 12).

(ب) **الرب يعاقب الشرير**: «لتريحه من أيام الشر حتى تحفر للشرير حفرة» (آية 13). يتعلم التقي أن الرب لا بد أن يريحه من أيام الشر، عندما يكتمل حفر الحفرة للشرير. صرخ التلاميذ في سفينتهم الموشكة على الغرق قائلين للمسيح: «أما يهمك أننا نهلك؟» وكان يجب أن يعرفوا أن السفينة التي يستقلُّها المسيح لا يمكن أن تهلك، فأسكت البحر الهائج، ثم قال لهم: «كيف لا إيمان لكم؟».

لا بد أن ينتهي شر الشرير كما أمر المسيح البحر: «اسكت! ابكم». فصار هدوء عظيم (مر 4: 38–40). «كعبور الزوبعة فلا يكون الشرير. أما الصدِّيق فأساسٌ مؤبَّد» (أم 10: 25).

(ج) **الرب يقضي للمؤمن**: «لأن الرب لا يرفض شعبه، ولا يترك ميراثه» (آية 14). بسبب سحق العدو للمؤمن يبدو للعين أن الرب رفض شعبه، ولكن كيف يرفض شعبه وميراثه، مع أن الميراث أغلى ما عند الإنسان، ليس فقط لقيمته المادية، بل لمعناه العاطفي؟ يقول الله لشعبه: «لحيظة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك. بفيضان الغضب حجبت وجهي عنك لحظة، وبإحسان أبدي أرحمك، قال وليُّكِ الرب» (إش 54: 7، 8).

(د) **ضيق المؤمن سينتهي**: «لأنه إلى العدل يرجع القضاء وعلى أثره كل مستقيمي القلوب» (آية 15). لا بد أن ينتهي ضيق المؤمن من شر الأشرار وظلمهم، لأن القاضي العظيم سيجيء ليبدأ حكم العدل، فتسير الأمور بالاستقامة، ويفرح الأتقياء، وتتحرك عربة العدالة منتصرة، يتبعها مستقيمو القلوب، فيعلم الكل أن العدل عاد ظافراً، ويسير المؤمن في البِر بلا عائق ولا معطل. وقد يتأنى العدل لكن القاضي العظيم لا بد سيأتي. «هوذا بالعدل يملك ملك، ورؤساء بالحق يترأسون» (إش 32: 1).

السؤال الثاني: (آيات 16-19).

1 – السؤال: «مَن يقوم لي على المسيئين؟ من يقف لي ضد فعلة الإثم؟» (آية 16). يسأل المرنم نفسه: من هو المنقذ الذي يعينني ويدافع عني ضد الأشرار الذين يسيئونني ويرتكبون الإثم ضدي باستمرار؟

2 – دافعان على السؤال: (آيتا 17، 18).

(أ) **خطر الموت**: «لولا أن الرب معيني لسكنت نفسي سريعاً أرض السكوت» (آية 17). رأى المرنم نفسه في خطر الموت والدفن في أرض السكوت (القبر) لولا أن الرب أعانه «الشرير يراقب الصديق محاولاً أن يميته. الرب لا يتركه في يده» (مز 37: 23، 33).

(ب) **خطر الشك**: «إذ قلت قد زلت قدمي فرحمتك يا رب تعضدني» (آية 18). حين أحاط الأشرار بالمرنم خارت قواه وظن أن سيده نسيه، وكادت قدماه أن تزل في عالم الشكوك وتنزلق إلى هاوية الارتداد عن الإيمان، فيقول مع آساف: «أما أنا فكادت تزل قدماي. لولا قليل لزلقت خطواتي» (مز 73: 2). لكن رحمة الله أسندته فلم يسقط، ولسان حاله: «لأنك أنقذت نفسي من الموت، وعيني من الدمعة، ورجلي من الزلق» (مز 116: 8).

3 – إجابة السؤال الثاني: «عند كثرة همومي في داخلي تعزياتك تلذِّذ نفسي» (آية 19). عندما سخر الأشرار من المرنم وهزؤوا به وسحقوا شعبه زادت همومه ومخاوفه وتحيَّر عقله، كملاحٍ هاجمته الزوابع ودخلت داخل سفينته. ولكن تعزيات الله كانت موضوع تأمله وتلذذه فلم تغرق سفينته. «هذا المسكين صرخ والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلَّصه» (مز 34: 6). لقد وجد كنزاً وذخيرة حية من تعزيات مواعيد الله الصالحة، فأحسَّ بالاطمئنان والأمان، فهتف: «ما أكرم رحمتك يا الله، فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون. يَروَوْنَ من دسم بيتك، ومن نهر نِعمك تسقيهم» (مز 36: 7، 8).

السؤال الثالث: (آيات 20-23).

1 – السؤال: «هل يعاهدك كرسي المفاسد المختلق إثماً على فريضة؟» (آية 20). هذا سؤال استنكاري: هل يمكن أن يدخل كرسيُّ المفاسد ومعقل الشر في معاهدة مع الكرسي السماوي؟ هل يمكن أن يقوم هناك عهد وميثاق بين النور والظلمة، وبين الحق والإثم؟ هل يتحالف العرش الفاسد مع الله صاحب العرش المقدس؟.. اضطربت أفكار المرنم واختلطت عليه الأمور وهو يرى ظلم الأشرار ونجاحهم، مع أنهم يختلقون إثماً على فريضة، فيصدرون قوانين آثمة تظلم الناس، ويستخدمون شريعة موسى لإذلال المساكين، ويعوجون فروضاً شرعية تُظهِر الخطأ كأنه صواب. فكيف يتعاهد هؤلاء مع الله؟! وقد قال المسيح لأمثال هؤلاء: «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، لأنكم تغلقون ملكوت السماوات قدام الناس، فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون» (مت 23: 13).

2 – الدافع على السؤال: «يزدحمون على نفس الصديق ويحكمون على دم زكي» (آية 21). يشكو المرنم من خطورة موقفه، لأن هؤلاء الأشرار الذين يعوِّجون المستقيم يجتمعون ضد الصدِّيق ويصدرون عليه أحكاماً جائرة قد تصل إلى الإعدام، وهو بريء. وهذا ما

حدث في محاكمة المسيح «قال لهم بيلاطس: فماذا أفعل بيسوع الذي يُدعى المسيح؟ قال له الجميع: ليُصلب!.. فأخذ ماءً وغسل يديه أمام الجميع قائلاً: إني بريء من دم هذا البار.. فأجاب جميع الشعب: دمه علينا وعلى أولادنا» (مت 27: 22–25).

3 – إجابة السؤال الثالث: (آيتا 22، 23).

يقدم الرب للمرنم إجابتين عن سؤاله الثالث:

(أ) **الرب خط دفاعه**: «فكان الرب لي صَرْحاً، وإلهي صخرة ملجإي» (آية 22). الصرح هو القلعة العالية والحصن المنيع. وقد كان الرب للتقي المظلوم صرحاً عالياً طمأن نفسه وصار ملجأه، فيقول: «أصعدني من جب الهلاك، من طين الحمأة، وأقام على صخرة رجليَّ. ثبَّت خطواتي» (مز 40: 2) «الرب نوري وخلاصي، ممن أخاف؟ الرب حصن حياتي، ممن أرتعب؟» (مز 27: 1). «الرب صخرتي وحصني ومنقذي. إلهي صخرتي، به أحتمي. ترسي وقرن خلاصي وملجإي» (مز 18: 2).

(ب) **الرب سيعاقب الشرير**: «يردُّ عليهم إثمهم. بشرِّهم يفنيهم» (آية 23). يطمئن الله المرنم أن الشرير سينال جزاءه «لأن عاملي الشر يُقطَعون، والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض» (مز 37: 9). «قريب هو الرب من المنكسري القلوب ويخلِّص المنسحقي الروح» (مز 34: 18).

اَلْمَزْمُورُ الْخَامِسُ وَالتِّسْعُونَ

1 هَلُمَّ نُرَنِّمُ لِلرَّبِّ، نَهْتِفُ لِصَخْرَةِ خَلاَصِنَا. 2نَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِحَمْدٍ، وَبِتَرْنِيمَاتٍ نَهْتِفُ لَـهُ. 3لأَنَّ الـرَّبَّ إِلَـهٌ عَظِيمٌ، مَلِكٌ كَبِيرٌ عَلَى كُلِّ الآلِهَةِ. 4الَّذِي بِيَدِهِ مَقَاصِيرُ الأَرْضِ، وَخَزَائِنُ الْجِبَالِ لَهُ. 5الَّذِي لَهُ الْبَحْرُ وَهُوَ صَـنَعَهُ، وَيَدَاهُ سَبَكَتَا الْيَابِسَةَ.

6هَلُمَّ نَسْجُدُ وَنَرْكَعُ وَنَجْثُو أَمَامَ الرَّبِّ خَالِقِنَا، 7لأَنَّهُ هُوَ إِلَهُنَا، وَنَحْنُ شَعْبُ مَرْعَاهُ وَغَنَمُ يَدِهِ. الْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ، 8فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ، كَمَا فِي مَرِيبَةَ، مِثْلَ يَوْمِ مَسَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ، 9حَيْثُ جَرَّبَنِي آبَاؤُكُمُ. اخْتَبَرُونِـي. أَبْصَـرُوا أَيْضاً فِعْلِي. 10أَرْبَعِينَ سَنَةً مَقَتُّ ذَلِكَ الْجِيلَ، وَقُلْتُ: «هُمْ شَعْبٌ ضَالٌّ قَلْبُهُمْ، وَهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا سُبُلِي». 11فَأَقْسَمْتُ فِي غَضَبِي لاَ يَدْخُلُونَ رَاحَتِي!

دعوة للعبادة

رأينا في مزمور 93 أن الرب قد ملك ولبس الجلال، فحلَّقنا معه في سماء المحبة والقوة. ولكن مزمور 94 أرجعنا إلى أرض الواقع والألم، وكأنه يتساءل مع جدعون: إن كان الرب هو الملك، فلماذا أصابتنا كل هذه المتاعب والكوارث، وأين كل عجائبه؟ (قض 6: 13). في هذا المزمور يعود المرنم إلى تفاؤله، ويوجِّه النظر إلى عظمة الله التي تدعو شعبه لعبادته بالحمد والترنيم. ويُقـال إن مزمـور 95 كُتب بمناسبة تدشين بناء الهيكل بعد الرجوع من السبي عام 516 ق.م.. كانت خيمة الاجتماع التي أقامها موسى أول مكان لعبـادة بنـي إسرائيل بعد الخروج من مصر، وعندما استقر الأمر بالشعب أراد داود أن يبني بيتاً للرب، فقال الرب له إنه قد سفك دماً كثيـراً، فبينـي البيت ابنه الملك سليمان. ولم يُرد الملك داود أن يحرم نفسه من شرف الاشتراك في بناء هيكل الرب فأعدَّ مواد بناء كثيـرة ليسـتخدمها ابنه في البناء. وقام سليمان ببناء الهيكل العظيم وحل الرب فيه بمجده (2أخ 5: 13 و7: 2). ولكن الشعب ابتعد عن عبادة الرب، فسلَّمهم لنبوخذنصَّر ملك بابل، الذي سباهم وهدم هيكلهم. وبقي الشعب في السبي 70 سنة كما قال الرب (إر 25: 12–14). بعدها حرَّك الـرب روح كورش الفارسي ليسمح لهم بالرجوع إلى أرضهم وبناء هيكلهم، فبدأوا العودة بقيادة عزرا الكاتب، وبدأوا فـي بنـاء الهيكـل، ثـم توقَّفوا. فأرسل الرب النبيين حجي وزكريا ليشجعاهم على البناء. قال لهم النبي حجي: أنتم رجعتم من السبي إلى أرضكم، فبنيتم بيـوتكم، وتركتم بيت الرب خراباً. ليس حسناً ما أنتم تفعلون (حج 1: 3، 4). فأكملوا البناء ودشَّنوه. ويُقال إن هذا المزمور كُتب بمناسـبة إعـادة بناء الهيكل بعد السبي.

يقول المرنم في هذا المزمور إن بني إسرائيل كانوا مستعبَدين في مصر، وأخرجهم الرب بمعجزة. بعدها سمح لهم ببناء هيكل عظيم له، وكان كريماً مع آبائهم، ولكن آباءهم لم يكونوا كرماء معه. وها هم يرون هيكلاً جديداً، فليحترسوا من أن يكرروا غلطة آبائهم. وهـو يدعوهم: «هلمَّ نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا.. اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم كما في مريبة (عندما خاصم بنو إسرائيل الرب بسبب نقص الماء – عدد 20: 13)، ومثل يوم مسة في البرية (عندما تساءل بنو إسرائيل إن كان الرب في وسـطهم أم لا – خـر 17: 7) حيث جرَّبني آباؤكم.. مقتُّ ذلك الجيل».

أنقذ الرب شعبه بالخروج من مصر، ولكنهم نسوه، فسمح بسبيهم، ثم أعادهم منه. ولكنَّ الطاعة شرطُ استمرار البركة، ورِضـى الله علينا وتمتُّعنا بالأنس به يتوقَّفان على ثباتنا في الرب، وعلى أمانتنا له.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – دعوة مسبَّبة للعبادة (آيات 1–7أ)

ثانياً – تحذير من رفض الدعوة للعبادة (آيات 7ب–11)

أولاً ـ دعوة مسبَّبة للعبادة

(آيات 1-7أ)

يقدم المرنم خمسة أسباب لعبادة الرب:

1 - لأنه صخرة خلاصنا: «هلم نرنم للرب. نهتف لصخرة خلاصنا. نتقدَّم أمامه بحمد، وبترنيمات نهتف له» (آيتا 1، 2). يهتف المرنم للرب ويقدم له السجود والعبادة، لأنه صخرة الخلاص الذي نؤسس عليه بناءنا الروحي فيثبت، مهما جاءت الأمطار وهبَّت الرياح وصدمته، لأنه مؤسس على الصخر. وبيتنا الروحي لا يمكن أن يُبنى إلا على المسيح صخر الدهور «فإنه لا يستطيع أحدٌ أن يضع أساساً آخر غير الذي وُضع، الذي هو يسوع المسيح» (1كو 3: 11).. وهو صخرة خلاصنا الذي يروي حياتنا. عندما عطش بنو إسرائيل أثناء سيرهم في البرية أمر الرب موسى أن يضرب الصخرة بعصاه، فخرج الماء الذي شرب منه الشعب جميعه (خر 17: 1-7). والصخرة رمزٌ للمسيح، صخر الدهور، الذي ضُرب من أجلنا على الصليب فأعطانا ماء الحياة، الذي قال عنه للسامرية: «لو كنتِ تعلمين عطية الله، ومن هو الذي يقول لك: أعطيني لأشرب، لطلبتِ أنتِ منه، فأعطاك ماءً حياً» (يو 4: 10).. وهو الصخرة الذي به نحتمي، كما قال له داود: «أحبك يا رب يا قوتي. الرب صخرتي وحصني ومنقذي. إلهي صخرتي به أحتمي. ترسي وقرن خلاصي وملجإي. أدعو الرب الحميد فأتخلَّص من أعدائي» (مز 18: 1-3).

وتأمُّلنا في «صخرة خلاصنا» يجعلنا نتقدَّم أمامه بحمد وبترنيمات نهتف له، لأنه «عظيمٌ هو الرب وحميدٌ جداً» (مز 48: 1) فنشكره لأجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها. وكل الذين يأتون إلى الرب يفرحون به. «الصدِّيقون يفرحون. يبتهجون أمام الله ويطفرون فرحا» (مز 68: 3). ومكتوب: «فرح التلاميذ إذ رأوا الرب» بعد قيامته من الأموات (يو 20: 20). كان تلميذا عمواس يمشيان عابسَيْن، ولكن عبوسهما انتهى عند كسر الخبز حالما عرفا أن المسيح حي، فرجعا إلى أورشليم وقد امتلأ قلباهما بالفرح العظيم ليخبرا باقي التلاميذ (لو 24: 13-35). وعندما نتناول من جسد الرب ودمه نفرح بمخلِّصنا، كما نفرح كلما تذكرنا يوم انتمائنا إليه بولادتنا الروحية من الروح القدس، ويوم تسليم حياتنا له. هلم نرنم ونهتف، فليست العبادة واجباً مفروضاً علينا، لكنها امتياز وفرحة حقيقية لنا، لأننا عندما نمثُل في محضر الرب نلتقي به شخصياً، فنحمده ونرنم له اعترافاً بفضله.

2 - لأنه الإله الوحيد: «لأن الرب إلهٌ عظيم، وملكٌ كبير على كل الآلهة» (آية 3). قال موسى للشعب: «الرب إلهكم هو إله الآلهة ورب الأرباب، الإله العظيم الجبار المهيب» (تث 10: 17). ربما يقصد المرنم بقوله «الآلهة» الأصنام. وتوجد في عالمنا آلهة كثيرة من صُنع الناس، كالتماثيل أصنام الوثنيين، والمال إله الماديين، والجنس إله الشهوانيين. عندما أدخل الفلسطينيون تابوت عهد الرب إلى بيت صنمهم «داجون» وجدوا داجون في الصباح ساقطاً على وجهه على الأرض أمام تابوت الرب، فأقاموه. وفي اليوم التالي وجدوه أيضاً ساقطاً على وجهه على الأرض، ورأسه ويداه مقطوعة على العتبة (1صم 5: 3، 4). وكل من يعبد المال يكتشف أن قوته الشرائية تقل، كما أن هناك أشياء لا يمكن أن يشتريها، مثل الصحة والمحبة، و«متى كان لأحدٍ كثير فليست حياته من أمواله» (لو 12: 15). ومن يتكل على الصحة يجدها تتأخر مع تقدُّم العمر، ومن يتكل على الأصدقاء قد يهجرونه وقت الاحتياج. أما الرب فهو الإله العظيم وحده، الكبير على كل الآلهة التي لا تُشبِع، ولا تعين، ولا تدوم. فالشبع والعون والدوام هي في الرب وحده.

وقد ظهرت عظمة الله على كل آلهة الوثن عندما تحدَّى النبي إيليا كهنة الصنم أن يقدموا له ذبيحة، ويقدم هو ذبيحة للرب، والإله الذي يُنزِل ناراً على الذبيحة يكون هو الإله الحقيقي. وأعطاهم إيليا الفرصة الأولى ليقدموا ذبيحتهم. وبالرغم من كل دعائهم لأوثانهم لم تنزل أية نار على ذبيحتهم. ثم دعا إيليا الرب، فأنزل ناراً من السماء التهمت ذبيحة إيليا، فهتف الشعب: «الرب هو الله» (1مل 18: 21-39).

وربما يقصد المرنم بـ«الآلهة» القضاة والحكام، بحسب القول: «الله قائم في مجمع الله. في وسط الآلهة يقضي». ويقول الرب لهم: «أنا قلت إنكم آلهة، وبنو العلي كلكم» (مز 82: 1، 6) لأن القاضي يحكم على المتقاضين بالبراءة أو بالإدانة، وذلك بتكليف من الله، وبحسب شريعته. والرب إله عظيم وملك كبير على كل القضاة، لأن فوق العالي عالياً، والأعلى فوقهما يلاحظ (جا 5: 8). وكل حاكم يموت ويجيء بعده حاكم آخر، أما الرب فهو هو أمساً واليوم وإلى الأبد (عب 13: 8)، وملكوته لا يتغير ولا ينتهي.

3 - لأنه الإله الغني: «الذي بيده مقاصير الأرض، وخزائن الجبال له. الذي له البحر وهو صنعه، ويداه سبكتا اليابسة» (آيتا 4، 5). المقاصير هي الأماكن المنخفضة كالمناجم وآبار البترول مثلاً، ومقاصير الأرض تحوي ثروة أوجدها الرب. وخزائن الجبال العالية أيضاً له، بكل ما فيها من غابات ومراعٍ.. وله البحر الذي يرمز إلى التقلقل وعدم الثبات، وله الأرض اليابسة التي ترمز إلى الثبات. أمر الرب موسى أن يشقَّ بعصاه البحر الأحمر فانفلق وظهرت اليابسة وسطه، ومرَّ عليها شعب الله. ثم عادت المياه إلى حالتها الطبيعية فغرق جيش فرعون (خر 14: 21، 22). وتكرر الأمر مع مياه نهر الأردن في أيام يشوع (يش 3: 13). ومشى المسيح على البحر كأنه

يسير على أرض يابسة، وأعطى تلميذه بطرس ذات الامتياز (مت 14: 29). وأمر المسيح بطرس أن يصيد سمكة بصنارة ليجد في فمها عُملة هي «إستار» ليدفع الضريبة عنه وعن بطرس (مت 17: 24–27). فلنرنم للرب لأنه الغني القدير.

4 - لأنه خالقنا: «هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا» (آية 6). يقدم المرنم التسبيح لله بالسجود والركوع والجثو أمامه لأنه الخالق الذي صنعه وصنعنا. وليس المقصود بهذا اتِّخاذ وضع معيَّن في الصلاة، بل التوقير والاحترام، فإن «ذبائح الله هي روحٌ منكسرة. القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره» (مز 51: 17). لقد جلس داود يصلي وقبل الله صلاته (1أي 17: 16)، ويقف المؤمنون للصلاة باسطين أيديهم نحو السماء (مز 141: 2)، ووجَّه الملك حزقيا وجهه إلى الحائط فسمعه الرب (إش 38: 2). وعندما أتلفت الخطية الخَلق الأول أعاد الله خلق الإنسان من جديد، وتحقَّق القول: «إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً» (2كو 5: 17). وقد كشف الرب لنبيِّه إرميا هذا الأمر عندما ذهب إلى محل فخاري ليرى كيف يصنع الفخار، فرآه يمسك قطعة طين ليصنع منها إناءً، لكن الطينة لم تتجاوب مع عمل يديه وتفتَّتت، فجمعها من جديد وأعاد صنعها وعاءً كما حسن في عينيه أن يصنعه. وقال الرب للنبي إرميا: «كالطين بيد الفخاري، أنتم هكذا بيدي يا بيت إسرائيل» (إر 18: 6). فما أروع الصُّنع الأول الذي أفسدته الخطية، وما أعظم الصنع الثاني الذي تبرَّر بدم المسيح! دعنا نصلي: «اختبِرني يا الله واعرِف قلبي. امتحِنِّي واعرِف أفكاري، وانظر إن كان فيَّ طريق باطل، واهدني طريقاً أبدياً» (مز 139: 24). «لتكن أقوال فمي وفكر قلبي مرضيَّةً أمامك يا رب صخرتي ووليي» (مز 19: 14).

5 - لأنه راعينا: «لأنه هو إلهنا، ونحن شعب مرعاه وغنم يده» (آية 7أ). الرب هو إلهنا لأنه خلقنا وهو يقودنا ويرعانا ويسدد كل أعوازنا الجسدية والروحية والفكرية، وقد اختارنا لنكون له شعباً خاصاً، وتنازل وأدخلنا معه في عهد جديد، قال عنه: «خذوا كلوا هذا هو جسدي». وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: «اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يُسفَك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» (مت 26: 26، 27). فأصبحنا جميعاً ملكاً له وشعب مرعاه. هو الراعي الصالح الذي قال: «أنا هو الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف» (يو 10: 11)، وهو الذي منحنا امتياز أن نقول: «الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء. في مراعٍ خضر يربضني. إلى مياه الراحة يوردني» (مز 23: 2) «نحن شعبك وغنم رعايتك. نحمدك إلى الدهر. إلى دور فدور نحدِّث بتسبيحك» (مز 79: 13) «يا راعي إسرائيل اصغَ، يا قائد يوسف كالضأن، يا جالساً على الكروبيم أشرِق» (مز 80: 1).

ثانياً ـ تحذير من رفض الدعوة للعبادة
(آيات 7ب-11)

يقدم المرنم ثلاثة تحذيرات من رفض الدعوة للعبادة:

1- خوفاً من القساوة: «اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم» (آيتا 7ب، 8أ). الحياة قصيرة وغَدُها ليس ملكنا، لأنه بين يدي الرب. لذلك يجب أن نسمع صوته «اليوم» ونطيعه، لأن تأجيل التوبة يقسّي قلب من يظن أن مصيره بيده، فيتَّكل على صحته أو على غناه، ويعتقد أنه يمكن أن يتوب غداً. ولكن «هوذا الآن وقت مقبول. هوذا الآن يوم خلاص» (2كو 6: 2). اليوم يوم توبة ويوم خلاص، لا يدعونا الله إليهما فقط بل يأمرنا بهما «اليوم»! هذه دعوة واضحة لجميعنا لأخذ قرار فوري وحاسم بالحياة مع الرب. قال المسيح: «هئنذا واقف على الباب وأقرع. إن سمع أحدٌ صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي» (رؤ 3: 20). فلا تترك المسيح واقفاً على باب قلبك يقرع أطول مما تركته. لو لم تتَّخذ اليوم خطوة التوبة فقد لا تأخذها أبداً، لأن روح الله لا يدين في الإنسان الزائغ إلى الأبد (تك 6: 3). كفى إهمالاً طال أمده، لأن كل يوم يمرُّ بك بدون معرفة المسيح معرفة شخصية هو خسارة حقيقية لك. ولن تجد الحياة ذات المعنى إلا إذا عشتَ مع الله، متمتعاً بقربك منه.

«اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم». وكلمة قلب في الكتاب المقدس تحمل عدَّة معانٍ:

* الإرادة: «فإذا سمعتم لوصاياي التي أنا أوصيكم بها اليوم لتحبوا الرب إلهكم وتعبدوه من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم، أعطي مطر أرضكم» (تث 11: 13، 14). فلتكن إرادتك خاضعة لمشيئة الرب.

* الضمير: «قلب داود ضربه على قَطْعه طرف جبة شاول» (1صم 24: 5). فلتكن حسّاساً لصوت الرب. وإذا دعاك تقول: «تكلَّم يا رب، لأن عبدك سامع» (1صم 3: 9).

* الذاكرة: «خبأت كلامك في قلبي لكيلا أخطئ إليك» (مز 119: 11). فلا تنسَ كلمة الرب.

* العقل: «وجَّهتُ قلبي لمعرفة الحكمة ولمعرفة الحماقة والجهل» (جا 1: 17). فليكن عقلك منفتحاً لكلمة الرب.

* العواطف: «تحب الرب إلهك من كل قلبك« (مت 22: 37). فلتكن مشاعرك وعواطفك متَّجهة للرب.

فلا تُقسِّ إرادتك، ولا ضميرك، ولا ذاكرتك، ولا عقلك، ولا عواطفك، بل أخضِعها كلها لله.

2 - ابتعاداً عن أخطاء الماضي: «كما في مريبة، مثل يوم مسَّة في البرية، حيث جرَّبني آباؤكم. اختبروني. أبصروا فعلي» (آيتا 8ب، 9). يطلب المرنم من الشعب ألا يقسّوا قلوبهم، ويعطيهم مثالاً من قساوة قلوب آبائهم حتى لا يخطئوا كما أخطأ الآباء. تعوَّدنا أن نتحدث عن آبائنا بفخر واعتزاز وأن ننسى أخطاءهم لأننا نحبهم، ولكن الرب يصف الأمور بأوصافها الموضوعية لا العاطفية، فيذكر ما جرى في «مريبة» (ومعناها عراك وخصام)، وما جرى في «مسَّة» (ومعناها تجربة أو امتحان). فقد تذمَّر بنو إسرائيل على الله وعلى موسى وهارون بسبب عدم وجود الماء. وكان تذمرهم الأول في رفيديم، في بداية سنوات التيهان في البرية (خر 17: 1–7) وتذمروا أيضاً في قادش في السنة الأربعين للتيهان (عد 20: 1–13). وما أكثر ما تذمر بنو إسرائيل على الله، فقال عنهم: «جرَّبوني الآن عشر مرات ولم يسمعوا لقولي» (عد 14: 22). وتُسمَّى «مريبة» أيضاً «مسَّة» وهو اسم نبعٍ خرج من صخرةٍ في حوريب لما ضرب موسى الصخرة بعصاه، بعد أن أمر الله موسى أن يضرب الصخرة. حقاً ما أشقى الإنسان الذي لا يمكن إرضاؤه! ودعا موسى اسم المكان: مسة ومريبة «من أجل مخاصمة بني إسرائيل، ومن أجل تجربتهم للرب قائلين: أفي وسطنا الرب أم لا؟». والمؤلم أن هذا التذمر حدث بالرغم من أن الآباء اختبروا صلاح الله وأمانته وقوته، وأبصروا أيضاً فِعْله. فلم يكن تذمُّر الشعب بسبب عمى أو جهل، إنما لغلاظة قلوبهم وعدم إيمانهم، بالرغم من أنهم رأوا محبة الله وعنايته ورعايته.

3 - اتِّقاءً لعقوبات الماضي: «أربعين سنة مقتُّ ذلك الجيل، وقلت: هم شعبٌ ضالٌّ قلبهم، وهم لم يعرفوا سبلي. فأقسمتُ في غضبي لا يدخلون راحتي»» (آيتا 10، 11). وكلمة «مقتٌّ» قد تعني ندمت وحزنت. وقيل عن الشعب النادم: «ومقتوا أنفسهم لأجل الشرور التي فعلوها في كل رجاساتهم» (حز 6: 9). حزن الرب على ضلال الإنسان لأنه لا يُسرُّ بموت الشرير بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا (حز 33: 11). فيا حسرةً على العباد!.. وقد تعني كلمة «مقتٌّ» أحبَّ أقل، فقد أنقص الرب عنايته بهم، ورفع عنهم حمايته ورعايته. قيل إن الذي يريد أن يتبع المسيح يجب أن يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته (لو 14: 26)، بمعنى أن يجيء حبه لله قبل حبه لعائلته، فتَقْوى محبته لله على محبته لعائلته، وتصير محبته لعائلته كضوء شمعة أمام نور الشمس، إذ تملك محبة الله على كل قلبه ومشاعره، فيقول: «محبة المسيح تحصرنا» (2كو 5: 14).

لقد ضلَّ الشعب عن الرب، وهجروا سبُله المستقيمة، لأنهم كفَّارون ظلومون، وتاهت قلوبهم عن الرب فتاهت أقدامهم عن سبُل الرب. قال عنهم المرنم: «زاغ الأشرار من الرَّحِم. ضلّوا من البطن، متكلمين كذباً» (مز 58: 3)، وقال عنهم النبي إشعياء: «كلنا كغنمٍ ضللنا. مِلنا كل واحد إلى طريقه» (إش 53: 6). هذا الجيل «شعبٌ ضالٌّ قلبهم» ضلالهم من داخل نفوسهم، بإرادتهم وعواطفهم وعقولهم. ونتيجة لهذا الضلال مقتهم الرب وحرمهم من دخول أرض الموعد، فسقطت جثثهم في الصحراء.

وبسبب هذا الضلال والإصرار عليه أقسم الرب في غضبه أن لا يُدخِلهم أرض راحته، فقد قال الرب لموسى وهارون: «قد سمعتُ تذمُّر بني إسرائيل الذين يتذمرونه عليَّ. قُل لهم: حيٌّ أنا يقول الرب، لأفعلنَّ بكم كما تكلَّمتم في أذنيَّ. في هذا القفر تسقط جثثكم، جميع المعدودين منكم حسب عددكم، من ابن عشرين سنة فصاعداً، الذين تذمَّروا عليَّ. لن تدخلوا الأرض التي رفعتُ يدِي لأسكننَّكم فيها، ما عدا كالب بن يفنة ويشوع بن نون» (عد 14: 26–30).

وينتهي المزمور بهذه الكلمات نهاية فجائية. والنصيحة المقدَّمة لنا فيه والتي يجب أن تبقى أمام عيوننا دائماً، هي أن كرَمَ الرب معنا يجب أن يذكِّرنا بمسؤوليتنا الروحية، وأن الإنعام الإلهي علينا لا يعني أبداً أن نحيا كما نشاء، لكن أن نعيش كما يريد مخلِّصنا وراعينا. اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم. هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا، لأنه هو إلهنا ونحن شعب مرعاه وغنم يده.